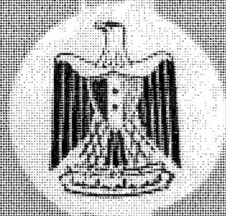


اخترنا لك ٨٣

تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

الجزء الأول

بقلم محمد عزة دروزة

اخترنا لك ٨٣

تاريخ بني اسرائيل

من أسفارهم

بقلم

محمد عزة دروزة

الجزء الأول

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة

يندهش الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل فى أسفار العهد القديم ـ التى يقدسها اليهود ؛ والتى دونت فى ظروف مقاربة من أحداث هذا التاريخ وتعد بسبب ذلك من أوثق مصادره ـ من الدعوى البالغة فى الكذب والوقاحة أبعد مبلغ والتى يدعيها يهود اليوم بأمجاد اليهود التاريخية فى فلسطين ، لأنه يستبين من نصوص هذه الأسفار أنه ليس لبنى اسرائيل فى فلسطين أمجاد تاريخية تتحمل فخرا واعتزازا الا اذا كان الكذب والاحتيال والفسق والفجور وسفك دماء الغير ونهب أموالهم والعدوان على حرياتهم وحرماتهم بأسلوب بالغ فى الوحشية والشره ؛ والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية والشقاق والنزاع فيما بين طوائفهم والرضوخ والخنوع للغزاة يمكن أن يعد من الأمجاد وهو ما تمتلىء به هذه الاسفار اليهودية المقدسة عندهم .

والأسفار التى ذكرت انتصاراتهم فى شرق الاردن وغربه تحت قيادة موسى أولا ويشوع ثانيا وسجلت فتحهم البلاد امتلأت بالمبالغات والتهويلات والمتناقضات وكانت مع ذلك تقرر أن هذه الانتصارات لم يحرزها بنو اسرائيل بشجاعتهم ومزاياهم

وانما كانت معجزات ربانية ، حيث كان الرب يحارب عنهم ؛ وأنهم كانوا جبناء أشد الجبن يرتعدون ويتذمرون وتذوب قلوبهم عند أي صعوبة وقوة أو مشقة اذا لم تسدهم تلك المعجزات ويتطاولون على الله بالمن واللوم والعتاب برغم ما كانت الأسفار تذكــــره من كثرة عددهم ومحاربيهم •

يضاف الى هذا أنهم حينما كانوا يحملون اسم العبرانيــين وطرأوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة او بكاســة أخرى أسرة واحدة ثم عاشوا عيشة البدو ؛ وحينما عادوا الى فلسطين مــن مصر بقيادة موسى لم ينشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانمــا عاشوا على ما كان فيها من عمران ضخم كنعاني وآموري ، ولم يكن لهم شيء من المميزات والمقاومة فلم يلبثوا أن أهملوا ميزتهم الوحيدة وهي التوحيد ؛ وخضعوا لتأثير من كان في فلســـطين من الشعوب اجتماعيا ودينيا ومدنيا وظل هذا ديدنهم ، حتى أن ملكيهما الأعظمين داود وسليمان وحقبتهما وهو كل ما يستطيع اليهود أن يذكروه بشيء من الاعتزاز لم يســـتطيعا ان يتخلصا من هذه الظاهرة •

ولم تخلص فلسطين لهم في أي ظرف حيث ظل سكانها القدماء من كنعانيين وآموريين وفلسطينيين وغيرهم فيها وحيث كانوا في أحيان كثيرة يشتبكون معهم في نضال وينتصرون عليــهم ؛

وحيث ظلوا بعد اجلاء بنى اسرائيل المرة بعد المرة فيها كأصحاب البلاد الأصليين .

وقد كان بنو اسرائيل الى هذا فى معظم تاريخهم فى فلسطين عرضة لغزوات الغزاة الذين كانوا يغيرون عليهم من مصر حينا ومن سورية حينا ومن شرق الأردن حينا ومن العراق حينا ومن أوروبا ـ اليونان والرومان ـ آخيرا ، والذين كانوا ينجحون فى اخضاعهم لغيرهم والتنكيل بهم كلما حدثتهم أنفسهم بالمغامرة والشغب واجلائهم واسكان غيرهم مكانهم . ثم قوض الرومان كيانهم ففر معظمهم من فلسطين نهائيا بعد تاريخ ملؤه تلك السوءات الاخلاقية والدينية والاجتماعية التى ندد بها أنبياء بنى اسرائيل وصبوا على قومهم بسببها اللعنات .

وقد خلا تاريخهم من أى مجد عمرانى وسياسى وعسكرى لامع ولم يكادوا يتركون فى فلسطين بعد تشردهم النهائى عنها آثرا ما . ثم تشتتوا فى أنحاء الارض واندمج كثير منهم فى النصرانية والاسلام والعروبة واختلطت دماؤهم ودماء من بقى على اليهودية منهم بدماء الأقوام التى عاشوا بينها الى الآن بحيث يصح أن يقال ان الدم الاسرائيلى القديم قد باد أو كاد وان اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء ، وأن دعوى صلة اليهود اليوم ببنى اسرائيل وتاريخهم على ما فى هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف . وهذا

بالاضافة الى الكتل الكبيرة منهم التى ظلت فى منفاها قبـــل التشرد النهائى فى مملكتى أشور وبابل واندمجت فى أهـــل البلاد التى عاشت فيها دما ودينا ؛ حتى ان العائـــدين من المنفى كانوا أقلية بالنسبة للمتخلفين .

ويلمح فى كثير من نصوص الأسفار أثر تعصب شديد وأنانية قوية وأفق ضيق ظل يبدو منهم ويسيطر على سيرتهم ســواء فى معاملتهم لغيرهم أو فيما كانوا يزعمونه لأنفسهم من اختصاصات وامتيازات . ومن هذا الباب تسجيلهم عن لسان الله انتقـــال ارث وبركة ابراهيم الى اسحق دون اسماعيل بكـــره وأولاده الآخرين ثم انتقال ارث وبركة اسحق الى يعقوب أبيهم الأكبـــر دون عيسو بكره كذلك وكون جميع الشعوب عبيدا لهم سخرها الله لخدمتهم وكونهم شعب الله المقدس المختص بعنايته وتأييده بل وعبادته دون غيرهم من الشعوب ؛ وكونه جعلهم أصحـــاب الحق الأبدى المطلق فى أرض كنعان التى كانت حدودها تتطور حسب ظروفهم فتكون حينا غرب الأردن او قسما منه وحينـــا تمتد الى شرقه وغربه معا وحينا تمتد من النيـــل الى الفرات ؛ وباباحته لهم بل بشرعه لهم وأمرهم ــ تعالى وتقـــدس ــ بأن يبيدوا جميع سكان أرض كنعان من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وأحيانا جميع ما فيها من دواب وبهائم وبأن يحرقوا مساكنهـــا ؛ وبحظر قطع أى عهد أمان لأى كان من سكان أرض كنعـــان أو

ابنائهم بين ظهرانيهم حتى لقد سجلوا سخطه عليهم لأنهم خالفوه في بعض المرات في عملية الابادة كما سجلوا سخط موسى على مثل ذلك (١) وسجلوا أقوالا عن لسان الرب بأنه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام وارتكسوا فيه من انحرافات دينية وخلقية (٢) وانه اذا غضب عليهم وعرضهم للاذى بسبب هذه الانحرافات فيكون ذلك على سبيل التأديب ثم لا يلبث أن يندم على ما فعل ويعود الى انقاذهم وتأييدهم مما فيه غلو عجيب متناقض مع جلال الله وعدله ورحمته ؛ ومما هو من دلائل المآخذ والشوائب التى ألمت بالأسفار : ومما كان منشؤه على الأغلب ما قاسوه في مصر من ذل واضطهاد ظل مكبوتا وأوجد فيهم عقدة نفسية ؛ كان ما سجلوه من أمثال هذه النصوص وماقترفوه من جرائم ابادة بالغة القسوة مع من قدروا عليه من أهل شرق الاردن وغربه كرد فعل لها .

ولقد لازمتهم هذه العقدة طيلة تاريخهم القديم في فلسطين وكانت الناظمة لسيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التى احتكوا بها أو عاشوا معها ؛ وكانت بدورها سببا لانحرافاتهم المستمرة الخلقية والدينية ولما لقوه من هذه الشعوب من مناوأة

---

(١) أنظر مثلا الاصحاح ٣٢ من سفر الخروج والاصحاحين ٧ و٢٠ من سفر التثنية والاصحاح ٣١ من سفر العدد .

(٢) أنظر مثلا الاصحاح ١٤ من سفر العدد .

ومناهضة جماعية : ومنا عاملهم به من قدرعليهم من قسوة وتنكيل وتشريد على ما سوف نفصله بعد ، لانها كانت تحول دائما بينهم وبين أى تحسس بعاطفة الاخلاص والأمانة وصدق التعاطف والتوافق مع الغير فلم يكن لهم عند القادر غير ذلك علاجا .

ثم ظلت تلازمهم وتنظم سيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التى احتكوا بها أو عاشوا معها بعد تشردهم من فلسطين وتشتتهم تحت كل كوكب خلال ألفي عام ، وسرت الى من اعتنق دينهم من غير جنسهم ايضا لأن دعائمهامسجلة فى الأسفار التى يقدسها اليهود من اسرائيليين وغير اسرائيليين فاستمروا يرتكبون فى الانحرافات الخلقية والدينية ، وبقوا غرباء تجاه تلك الشعوب وتعاملوا معها فى نفاقها ، وتعرضوا لاضطهاد جميع الشعوب وكراهيتهم بسببها ، وظل أثر الاضطهاد والكراهية والعقدة النفسية مكبوتا فى صدورهم جيلا بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار فى فلسطين فكان منهم ما كان من وحشية القمع والفتك والتدمير والتخريب واستحلال كل شيء والشره الى كل شيء ، وكانوا بذلك ولن يزالوا شاذين بسبب هذه العقدة اللعينة عن جميع شعوب الأرض فى مختلف الأزمنة والأمكنة .

كل هذا يستبينه المرء الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم فيندهش أشد دهشة من وقاحة دعوى اليهود وأكاذيبهم

البالغة . ثم تزداد دهشته من استطاعتهم تضليل العالم عن تاريخهم وأمجادهم وصلتهم الدموية ببنى اسرائيل بما أحكموه من دعاية كاذبة تتخذ كل وسيلة مهما كانت ؛ ومما يصدق عليه قول من قال . يكذب الكاذب ثم يكذب ثم يكذب حتى يخيل اليه أنه صادق وأن الناس مصدقوه» هذا برغم انتشار وتداول أسفار العهد القديم بالملايين فى كل بقعة من بقاع الأرض وبكل لغة من لغات الشعوب تقريبا • ذلك لأن أسلوب هذه الأسفار التى تنطوى فيها تلك الحقائق العجيبة المدهشة لا يسيغه معظم الناس ولا يساعد على تجميع تلك الحقائق وابرازها فى نسق تاريخى •

لذلك كان من الضرورى جدا تجلية هذه الحقائق بأسلوب تاريخى مستساغ ولقد كتب المطران الدبس مجلدا ضخما عنوانه مقالة فى العبرانيين طبع فى أواخر القرن الثالث استند مؤلفه الى الأسفار فى الدرجة الأولى • غير أنه كتب بروح وأسلوب ليس من شأنهما ابراز تلك الحقائق بالصورة التى قصدناها فلم يكن فيه غناء ولقد كتب كتاب عديدون من العرب رسائل مستندة الى الأسفار نبهوا فيها على ما احتوته من انحرافات بنى اسرائيل الدينية والخلقية فى مختلف حقب تاريخهم غير أن الذى اطلعنا عليه منها لم يكن فى نسق تاريخى شامل وواف • فرأينا أن نسد هذا الفراغ بكتابنا هذا الذى حرصنا على أن يكون فى نسق تاريخى متسلسل منذ بدء تاريخ بنى

اسرائيل فى فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الأخير فى عهد الحكم الرومانى فى القرن الثانى بعد الميلاد المسيحى مع نبذة خاطفة عن تاريخهم فى بلاد العرب الى البعثة الاسلامية ، مما نرجو ان يكون فيه خدمة للتاريخ والمكتبة العربية وخاصة الناشئة العربية ، لتقف منه على حقائق تاريخ بنى اسرائيل وقد ابتلى وطنهم العزيز بشرذمة تدعى الانتساب اليهم وصار معها شأن أى شأن قد يطول أمدا طويلا .

وننبه على أمر مهم وهو أن الكتاب لم يقتصر على ابراز حقائق سوءات تاريخ بنى اسرائيل القديم بل هو سلسلة تامة لهذا التاريخ ايضا مما هو فى حد ذاته مفيد للقارىء العربى لأننا لم نطلع على كتاب شامل لهذا التاريخ باللغة العربية وقد استعنا بمراجع عديدة بالاضافة الى الأسفار ليأتى الكتاب وافيا وثيقا ان شاء الله .

ومنه نسأل العون والتوفيق .

المؤلف

تعريف بالاسفار

ان أسفار العهد القديم التى ستكون مستند هـذا الكتاب تسعة وثلاثون حسب النسخة البروتستانتية وستةواربعون حسب النسخة الكاثوليكية • والخمسة الاولى منها أى التكويـن والخروج واللاويين والعدد والتثنية منسوبة الى موسى الذى يرجح أنه عاش فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد • ويأتى بعدها فى النسخة البروتستانتية أسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول وصموئيل الثانى والملوك الأول والملوك الثانى وأخبار الأيام الاول وأخبار الايام الثانى وعزرا ونحميا وأستير وأيوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد وأشعيا وأرميا ومراثى أرميا وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيـل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى • والزوائد فى النسخة الكاثوليكية هى سفر طوبيا ويهوديت بعد سفر نحميا وسفرا الحكمة ويسوع بن سيراخ بعد سفر نشيد الانشاد وسفر باروك بعد سفر مراثى أرميا وسفرا المكابيين الأول والثانى بعد سفر ملاخى • وتسمى هذه النسخة سفر اللاويين بسفر الأحبار وتجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلا من سفرى صموئيل الأول والثانى •

والأسفار اجمالا تتسم بالسمة الدينية . ومنها ما هو تاريخي في الدرجة الأولى مثل أسفار التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأخبار الأيام وأستير وعزرا ونحميا ودانيال وأرميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابيين والثلاثة الأخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية وهي تربط بين سيرة ووقائع بني اسرائيل بل آبائهم وبين سلوكهم الديني بحيث انها تجعل ما وقع عليهم من محن وشدائد ومصائب وما تيسر لهم من نصر ونجاح واستواء حال منوطا بهذا السلوك في حالتي الاصلاح والانحراف الديني . ومنها ما هو أخلاقي وتشريعي وحكم ومواعظ ومراثي وانذار وتنبؤات وتسبيحات وتمجيدات وهي أسفار اللاويين والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة — وهذا من زوائد النسخة الكاثوليكية — وأشعيا ومراثي أرميا وباروك — وهذا من تلك الزوائد — وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي . وهي مع ذلك تمثل ناحية هامة من تاريخ وحياة بني اسرائيل الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية . وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني اسرائيل وهما سفر أيوب الذي يستفاد من عبارته أنه من بني عيسو ، وسفر يونان الذي يستفاد من عبارته انه نبي مرسل الى نينوى ، وهو النبي يونس المذكور في القرآن على ما تفيده المقابلة بين محتواه وقصته في القرآن .

وأيوب هو أيوب المذكور فى القرآن ويحتوى سفره قصة مقاربة لما ألمع اليها القرآن كذلك . وهناك سفر مغفل السمة وهو سفر يسوع بن سيراخ الذى هو من زوائد النسخة الكاثوليكية وهو تشريعى وأخلاقى .

ومن الأسفار ما هو طويل تزيد صفحاته على المائة ، ومنها ما هو قصير أو قصير جدا .

وقد احتوى سفر التكوين قصة الخليقة وطوفان نوح ومواليده ثم قصة نزوح ابراهيم الى أرض كنعان وذريته فيها ثم فى مصر الى نهاية حياة يوسف . واحتوت أسفار الخروج والعدد قصة ظهور موسى ومعجزاته وخروجه مع بنى اسرائيل وطروئهم على شرق الأردن . واحتوت أسفار يشوع والقضاة وصمويل والملوك وأخبار الايام قصة بنى اسرائيل الى ما قبل السبى الذى وقع فى الثلث الأول من القرن السادس قبل الميلاد . واحتوت أسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال وأرميا ويهوديت وطوبيا والمكابيين قصتهم أثناء السبى وبعده .

ومن الأسفار الأخلاقية والتشريعية والتقديسية والتنبؤات والمراثى والرؤى ما هو متصل بحقبة بنى اسرائيل وحالتهم قبل السبى ومنها ما هو عائد الى حقبة بنى اسرائيل أثناء السبى وبعده والأولى هى أسفار أشعيا وأرميا وهوشع ودانيال وعاموس وصفنيا . وبقيتها عائدة الى حقبة السبى وبعده .

ونبه على أن سفر التكوين الذى هو من الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى لا يحتوى أى عبارة تشير الى علاقة موسى به رواية أو تدوينا خلافا للاسفار الاربعة الأخرى أى الخروج والأحبار والعدد والتثنية • والى هذا فان فى الأسفار الخمسة عبارات كثيرة قد تدل على أن هذه الأسفار لم تكتب من قبل موسى ولا باملائه ولا فى حياته وانما كتبت بعده وبأقلام كتاب عديدين وفى أزمنة مختلفة وقد تكون كتبت بعده بمدة طويلة بل قد تكون كتبت او أعيدت كتابتها بعد سبى بنى اسرائيل من أورشليم ـ القدس ـ وعودتهم من السبى فى القرن السادس قبل الميلاد •

ففى كل من سفر العدد والأحبار (اللاويين) والتثنية شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات متنوعة مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص فى سفر الخروج السابق عليها فى الترتيب • وفى سفر التثنية شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص فى أسفار الخروج والعدد والأحبار السابقة عليه • وفى كل من الأسفار الاربعة اشارات الى ما سوف يحل ببنى اسرائيل من مصائب وشدائد واجلاء عن أرض كنعان وعودة لها فى سياق الترغيب فى اتباع وصايا الرب ورسومه والانذار فى حالة مخالفتها مما لا يعقل أن يكون الا فى حالة تعدد الكتاب واختلاف الاوقات واستقاء الكتاب من مصادر مختلفة

بينها بعض التطابق وبعض التخالف كما هو المعتاد : ومما يلمح فيه كذلك أثر واقع بنى اسرائيل وسيرتهم بعد طروئهم على أرض كنعان ــ أى غرب الاردن او فلسطين ــ وهو ما وقع بعد موسى ومالم يذكر وقوعه فى الأسفار الخمسة ومالا يعقل أن يرد فيها تلك الاشارات اليه الا بعد وقوعه • وفى آخر اصحاحات سفر التثنية ذكرت موت موسى ودفنه فى الوادى فى أرض مؤاب ثم قيل : «ولم يعرف قبره الى يومنا هذا» والعبارة تفيد ان كتابتها وبالتالى كتابة الاصحاح ثم كتابة السفر انما كانت بعد مدة طويلة جدا من موت موسى •

وما قلناه عن الأسفار الخمسة يصح أن يقال بالنسبة لمعظم الأسفار التى تحتوى أحداث ما قبل السبى وخاصة التاريخية منها التى لا تتسمى بأسماء شخصية : أى أنها أو أيا منها ما كتب الا بعد الأحداث التى ذكرت فيها بمدة طويلة أو بعد السبى وأنها بأقلام عديدة وفى أوقات مختلفة وأن كتابها استقوا من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق والتخالف كذلك •

فسفرا أخبار الأيام الأول والثانى مثلا اللذان يجيئان فى الترتيب بعد أسفار صموئيل والملوك قد احتويا كثيرا مما احتوت هذه الأسفار بشىء من الزيادة والنقص بل احتويا بعض ما ذكرته أسفار التكوين والخروج والعدد • ففى الاصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول مثلا سلسلة أسماء ملوك يهوذا الى

آخر صدقيا الذى قتله نبوخذ نصر وقضى على دولته نهائيا ؛ وفى الاصحاح التاسع منه هذه الجملة «وسبى يهوذا الى بابل لأجل خيانتهم» وفى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثانى هذه الجملة «وفى السنة الأولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح وركش فأطلق نداء فى كل مملكته قائلا : ان الرب أعطانى جميع ممالك الأرض وأوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا فمن منكم من جميع شعبه فليصعد والرب معه» مما فيه دلالة قاطعة على أن السفر الأول كتب على الأقل فى نهاية دولة يهوذا وعلى أن السفر الثانى كتب حتما بعد السبى • وسفر الملوك الثانى يذكر ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما بما فى ذلك نسف نبوخذنصر لدولة يهوذا ، وسبى اليهود الى بابل ويذكر بعض أحداث جرت بعد السبى او عقبه مما فيه دلالة قاطعة على أنه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابته بعد السبى وهو ما نرجحه • ولما كان هذا السفر هو استمرار لسيرة ملوك دولتى يهوذا واسرائيل التى بدىء بها فى السفر الأول فالكلام المذكور ينسحب على هذا السفر ايضا كما هو المتبادر • وفى الاصحاح الخامس والاربعين من سفر أشعيا الذى عاش فى عهد ملوك يهوذا يونام وحزقيا وعزيا وآخاز ورد اسم كورش وتغلبه مما يدل على أنه كتب بعد السبى وقد ورد فيه هذه العبارة « اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين » مما

فيه تأييد لذلك ، ولا تخلو أسفار أخرى من التى تتكلم عن ما قبل السبى من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول أنها كتبت بعد السبى .

غير أن هناك ما يدل على أن كثيرا من محتويات الأسفار التى تتكلم عن حقبة ما قبل السبى والتى تدل عباراتها على أنها كتبت بعد السبى قد نقلت من مدونات تاريخية يهودية غير موجودة بين الأسفار المتداولة ففى الاصحاح الثانى عشر من سفر أخبار الأيام الاول مثلا هذه الجملة « وأمور رحبعام الاولى والأخيرة أما هى مكتوبة فى أخبار شمعيا النبى وعدو الرائى » وفى الاصحاح العاشر من سفر يشوع هذه الجملة « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه . أليس هذا مكتوبا فى سفر ياشر » وليس هناك أسفار باسم أسفار شمعيا النبى وعدو الرائى وياشر . وفى سفر الملوك الأول الذى يقابله فى النسخة الكاثوليكية سفر الملوك الثالث هذه الجملة « وأمور سليمان وكل ما صنع وحكمته » أما هى فى سفر أمور سليمان . وليس بين الأسفار المتداولة سفر بهذا الاسم . وفى الاصحاح التاسع من أخبار الأيام الثانى هذه الجملة « وبقية أخبار سليمان الأولى والأخيرة مكتوبة فى كلام ناثان النبى ونبوة أحيا الشيلونى وفى رؤى معدو الرائى » وليس بين الأسفار المتداولة أسفار بهذه الأسماء . وفى الاصحاح السابع والعشرين من سفر أخبار الأيام

الاول هذه الجملة «ولم يدون العدد فى سفر أخبار الأيام للملك داود» حيث تفيد انه كان لداود ايضا سفر اخبـــار وليس بين الأسفار المتداولة مثل هذا السفر . وكثيرا ما جاء فى أسفار الملوك هذه الجملة « وبقية أمور الملك فلان .. أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا أو لملوك اسرائيل» وليس بين الأسفار ما يحمل هذه العناوين . وليس فى أسفار أخبار الأيام المتداولة شىء مما أريد ارجاع الكلام اليه . والعبارة قد تفيد انه كان لكل من ملوك اسرائيل ويهوذا ــ دولتى اليهود بعد سليمان ــ أسفار باسم أسفار ملوك اسرائيل وأسفار ملوك يهوذا وأخبار الأيام لملوك اسرائيل وأخبار الأيام لملوك يهوذا . ففى هذا وأمثالــه دلائل على أن كثيرا مما احتوته أسفار العهد القديم التى يرجع تدوينها بصيغتها الحاضرة بعد السبى منقول عن أصول مدونــة قبلها كان أحبار اليهود يحتفظون بها ثم فقدت .

فهذه الأمثلة قد تسوغ القول : ان أحداث موسى وما بعده قد دونت فى ظروف مقاربة لحدوثها ويصح أن تكون محل اعتماد مع التحفظ بسبب ما فى الأسفار من غلو ومناقضات ومفـــارقات كثيرة سوف ننبه عليها فى مناسباتها ؛ ولا سيما أن هناك نقوشا مصرية وآشورية وأردنية تتطابق مع بعض ما ورد فى الأســـفار التى احتوت أحداث ما قبل السبى من جهة ، وأن ما ذكرتـــه هذه الأسفار من أعلام وأسماء وجزئيات لا يعقل أن يكون من

نسج الخيال من جهة أخرى • وكل ما يمكن أن يكون أن تداول الروايات شفويا ردحا من الزمن والخيال والتعصب وظروف التدوين قد كان ذا تأثير قوى فأدى ذلك الى ما أشرنا اليه من مناقضات ومفارقات وغلو •

وهذا الذى نقوله يمكن أن يقال بالنسبة لما احتواه سفر التكوين وخاصة من عهد ابراهيم وتاريخه وتاريخ ذريته والذى كان التحفظ ازاءه أوجب بسبب قدمه وعدم وجود مستندات أخرى تؤيد ما جاء فيه من ذلك تأييدا حاسما •

فاستمر تداول اسم ابراهيم وذريته وسكناهم فى أرض كنعان وانتشار بعضهم فى شرق الأردن ونزوح يعقوب وأسرته الى مصر واتصال ذلك بواقع خروج بنى اسرائيل بقيادة موسى من مصر ووقع طروئهم على شرق الأردن وغربه مما يسوغ القول أن ما احتواه هذا السفر من تاريخ ابراهيم ويعقوب وذريتهما وما كان من أحداث وأعلام فى شرق الأردن وغربه لا يخلو من حقيقة وأن الأحداث والأعلام والجزئيات لا يعقل أن تكون من نسج الخيال ؛ ولاسيما أن من ذلك ما هو متطابق مع الواقع اليقينى المستمر فى شرق الأردن وغربه على ما سوف نشرحه بعد • وكل ما يمكن هو أن معظم ماجاء فيه من ذلك كان مما تداولته الروايات جيلا بعد جيل أمدا طويلاوتعرض بسبب ذلك ثم بسبب ظروف التدوين والتعصب للزيادة والنقص والغلو والمفارقات والمناقضات

وليست المفارقات والغلو والخيال منحصرة فى الأسفار التى تحتوى أحداث ما قبل السبى ؛ فان فى الأسـفار التى تحتوى أحداث السبى وما بعده كثيرا من ذلك أيضا ؛ مما يسوغ القول أنها دونت بعد معظم الأحداث التى ذكرتها فاختلطت الحقائق فيها بالمفارقات والغلو والخيال .

تاريخ ابراهيم واسحق ويعقوب

- ١ -

ان بنى اسرائيل ينتسبون الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فمن المقتضى أن نقول كلمة فى تاريخهم أولا ٠

ولقد حكت بعض اصحاحات سفر التكوين قصة نزوح ابراهيم الى أرض كنعان ــ فلسطين ــ بأسلوب يكتنفه شىء من الغموض والتناقض مهما حاول مفسرو الأسفار ان يجدوا له تأويلا

ففى الاصحاح الحادى عشر أن تارح أبا ابراهيم خرج من أور الكلدانيين قاصدا أرض كنعان ومعه ابراهيم ابنه وساراى كنته ولوط ابن ابنه هاران المتوفى ٠ وجاء الى حاران ومات فيها ٠ وفى الاصحاح الثانى عشر ان الرب قال لابراهيم انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك الى الأرض التى أريك فأجعلك أمة كبيرة ويتبارك بك جميع عشائر الأرض فخرج من حاران ومعه زوجته ساراى وابن أخيه لوط وجميع ما يملكون من أموال وعبيد وأتوا الى أرض كنعان ٠

فكلام الاصحاح الحادى عشر يفيد أن فكرة النزوح الى

أرض كنعان كانت فكرة تارح ابى ابراهيم بينما كلام الاصحاح الثانى عشر يفيد ان نزوح ابراهيم بأمر الرب وكأنما هـو شىء خاص به لا علاقة به لأبيه تارح •

وفى الاصحاح الخامس عشر من هذا السفر وجه الخطاب الى ابراهيم « أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيـك هذه الأرض ميراثا لك» مما يفيد نفس المعنى • وفى الاصـحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع : هكذا قال الرب الى اسرائيل « فى عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبـو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت اباكم ابراهيم من عبر النهر وسيرته فى جميع أرض كنعان وكثرت نسله» وهذا يفيـد نفس المعنى كذلك •

وكلام الاصحاح الحادى عشر من التكوين يفيد أن ابراهيم من مدينة أور الكلدانيين وأن اقامة تارح فى حاران كانت عابـرة بينما كلام الاصحاح الثانى عشر يفيد ولو لم يكن بصراحـة أن مقام ابراهيم وأرضه وعشيرته وبيت أبيه فى حاران • وقد جـاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من نفس السفر أن ابراهيم استحلف كبير عبيده بأن لا يأخذ لابنه اسحق زوجة من بنات كنعان بـل يذهب الى أرضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لابنه ووصاه بأن لا يرد ابنه الى هناك لأن ربه أخذه من بيت أبيه وأرض مولده وأتى به الى أرض كنعان • وأن العبد ذهب الى آرام النهرين الى

مدينة ناحور أخى ابراهيم وخطب ابنته لاسحق وأتى بهـا الى أرض كنعان • وقد جاء فى الاصحاح الثامن والعشرين من السفر نفسه أن اسحق وصى ابنه يعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل يذهب الى خوان آرام ويتزوج من بنات خاله لابان فنفـذ وصية أبيه حيث يفيـد هـــذا وذاك أيضـا أن أرض ابراهيم وعشيرته كانت فى آرام النهرين •

ومع أن المحتمل كثيرا أن يكون بعض النصوص المتقدمـة متأثرا بما كان من واقع طروء بنى اسرائيــل على شرق الأردن وغربه بعد خروجهم من مصر ومحاربتهم لأهلهـا واستيلائهـم بالقوة والدم على أقسام كبيرة منها ، وأن يكون التناقض البادى فيها نتيجة لتداول الروايات والذكريات أجيالا بعد أجيال فان هذا لا يمنع ان يكون فى ما ذكر فيها حقيقة ما بالنسبة الى منشأ ابراهيم وتزوحه الى أرض كنعان • وحينئذ يبدو احتمالان لمنشأ ابراهيم وهما أور الكلدانيين وآرام النهرين •

أما أور الكلدانيين فان وجود مدينة اسمها أور فى بلاد كلدة فى القرن العشرين الذى نخمن نزوح ابراهيم فيه مستندة الى مـا قبل ذلك هو من الحقائق التاريخية التى أيدتهـــا الاكتشافات الأثرية (١) • وقد تكون فكرة نزوح أسرة واحدة من بلاد كلدة

(١) تاريخ كلدة وآشورلادى شير ج١ ص ٢٤ ومقدمة فى الحضارات القديمة القسم الاول تاريخ العراق للعالم الاثرى العراقى طه باقر ص ١٠٥ •

أو من أور الى أرض بعيدةجدا غير مستساغة كثيرا • غير أن الكلدانيين أو الأكاديين كانوا قد مدوا سلطانهم من العراق الى بلاد الشام وعرفوها فى عصر سرجون ونارام سين الذى تتراوح تقديرات المؤرخين عنه بين القرن الأربعين والقرن الرابع والعشرين قبل الميلاد على ما عرف من الآثار والدراسات التاريخية (١) ثم كانت امبراطورية أور فى القرن الثانى والعشرين فى تقدير ، وقبل ذلك ببضعة قرون فى تقدير آخر (٢) التى مدت سلطانها هى الأخرى الى بلاد الشام ثم كانت امبراطورية بابل الأولى التى يخمن المؤرخون عهدها بين القرن الخامس والعشرين والقرن العشرين الى الثامن عشر والتى مدت سلطانها كذلك الى هذه البلاد (٣) •

فليس من المستبعد والحالة هذه ان تكون فكرة النزوح الى بلاد الشام فأرض كنعان قد انبثقت فى كثير من هذه البلاد فكان من جملة ذلك ابراهيم وأسرته •

وأما آرام النهرين فالمعروف ان موجة اسمها الموجة الآرامية

---

(١) التاريخ العام بالتركى لاحمد رفيق ج ١ ص ١٩٦ والقرون القديمة لبربستد ص ٩٠ وتاريخ كلده وآشور ج١ ص ٢٢ - ٢٧ وكتاب طه باقر المذكور ص ١١٥ - ١٢٦ و٢٠٣

(٢) كتاب طه باقر ص ١٣٠-١٣٧ وتاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٢٢-٢٧ وتاريخ بابل واشور لجميل الدور ص ٤١ و٦٦ •

(٣) تاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٢٧-٢٢ وكتاب طه المذكور ص ١٣٩-١٥٦ •

قد أخذت تطرأ على بلاد الشام فى القرن العشريـــن وانتشرت فى مختلف انحائها الوسطى والشمالية وتسربت جماعات منها الى العراق (١) غير انها لم تكن قد استقرت وتحضرت فى الظرف الذى يخمن فيه نزوح ابراهيم الى أرض كنعان كما لم يذكر احد من الباحثين أن جماعات منها تسربت الى شرق الاردن وغربه — أرض كنعان — قبل القرن الثانى عشر • ولكن هذا لا يمنع ان يكون قد تسلل منها جماعات الى هذه الأرض وكان مـــن جملتها أسرة ابراهيم •

ولقد جاء فى الاصحاح السادس والعشرين من سفر تثنيـــة الاشتراع — وهو من الأسفار المنسوبة الى موسى — فى ســياق وصايا الرب لبنى اسرائيل فى صدد تقديم ثمار الأرض للــرب هذه العبارة «ثم تجىء وتقول بين يدى الرب بعد ان يأخذ الكاهن السل من يدك ويضعه أمام المذبح ان أبى كان آرميا تائها فهبط مصر ونزل هناك فى رجال قلائل فصار أمة عظيمة شـــديدة كثيرة الخ» ومهما كان هناك احتمال أن يكون هذا متأثرا بما تم لبنى اسرائيل من انتصارات بعد خروجهم من مصر فان العبارة تتضمن ذكرى كان يتناقلها كما هو المتبادر بنو اسرائيل بان أباهم

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجى زيدان ص ٤٠ــ٢٥ وتاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٣٦ــ٢٨، و٥٠ــ١٢٨! وكتاب طه باقر ص ١٦٠ــ١٦٢ •

الأكبر هو آرامى • وبالتالى قد تكون من مرجحات ومقومات الأصل الآرامى •

وهناك احتمال ثالث وهو أن يكون ابراهيم من الموجة الآمورية • فالمعروف أن هذه الموجة أخذت تطرأ على بلاد الشام قبل الآراميين وتنتشر فى أنحائها وأن جماعات منها تدفقت الى جزيرة الفرات ثم الى العراق الجنوبى وسيطرت عليه وأنشأت فيه مملكة بابل الأولى (١) • كما أن جماعات أخرى تدفقت الى شرق الأردن وغربه واستقرت فيهما وأنشأت ممالك عديدة فى كل منهما ظلت قائمة الى وقت طروء بنى اسرائيل عليهما بعد خروجهم من مصر ووقع بينهما وبينهم حروب وتكرر ذكرها فى الأسفار التى ذكرت قصة هذا الطروء على ما سوف نورده بعد ولقد جاء فى الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين أن ابراهيم كان ساكنا عند بلوطات ممرا الأمورى (٢) أخى أشكول،وعانر وكان حليفا لهم ، فيتبادر الى الذهن أن ابراهيم انما ذهب الى هذه المنطقة التى كانت من مساكن الأموريين وسكن عندهم لأنه هو الآخر منهم وأن فكرة النزوح الى هذه البلاد جاءت اليه من كونها من مساكن القبيلة التى هو منها •

---

(١) كتاب طه باقر ص ١٢٩–١٥٦ •

(٢) فى الاصحاح الثالث عشر من سفرالتكوين ذكر أن بلوطات ممرا هى التى يحبرون التى يقوم الآن مكانها مدينة الخليل •

ومن المحتمل والحالة هذه أن تكون تسمية آرام النهرين التى ذكرت نصوص التكوين ان ابراهيم جاء منها ــ متأخرة متأثرة بالواقع حين تدوين الاحداث فى القرن الثالث عشر وما بعده لأن الآراميين كانوا هم أصحاب السلطان وكان طابعهم هو الشامل لجميع بلاد الشام الوسطى والشمالية بل وكان يمتد الى العراق الجنوبى فى هذا الظرف (١) •

وعلى كل حال فابراهيم من الجنس العربى الذى يسميه المستشرقون ومن يتابعهم من كتاب العرب خطأ الجنس السامى سواء أكان كلدانيا أم أموريا آم آراميا لأن الشعوب الثلاثة هى من هذا الجنس على ما يقرره الباحثون بدون خلاف •

نقول هذا ونحن نعرف أن المؤرخين يسمون ابراهيم وذريته بما فيهم بنو اسرائيل باسم العبرانيين أيضا ويسمون لغتهم باللغة العبرانية ، بل ان اسم اللغة العبرانية هو الاسم المستقر المستمر للغة بنى اسرائيل • ولقد وصف الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين ابراهيم بوصف العبرانى حيث يمكن أن يكون هذا سندا لهذه التسمية • وفى الاصحاح الأول من سفر الخروج هذه العبارة «كلم ملك مصر قابلتى العبرانيات وقال لهما اذا

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٤٠ــ٥٢ وتاريخ كلدة وآشور لأدى شير ج ١ ص ٣٦ــ٣٨ و٥٠ــ١٢٨ وكتاب طه باقر ص ١٦٠ــ١٦٢ •

استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكراسى فان كان ذكرا فاقتلاه وان كانت انثى فاستبقياها» حيث يدل هذا على أن التسمية كانت تطلق على ذرية يعقوب حفيد ابراهيم قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد والمتبادر أن هذا استمرار لما قبل . ولقد ورد اسم «عبريو» فى ورقتين من أوراق البردى كتبتا فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقبل تدوين سفرى التكوين والخروج بمدة غير قصيرة أى فى عهد رمسيس الثانى وموجودتان فى متحف لايد فى هولاندة . وقد ترجمها من المصرية القديمة عالم اسمه شباس وهما رسالتان احداهما من كاتب اسمه كويسر جوابا لرئيس له اسمه بكنفتاح يقول فيها «استرضاء لسيدى أنحت أمره الذى أنفذه الى قائلا : أعط الجنود قوتهم واعط أيضا العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعمسيس مريانان خليل العدل والذين وكل أمرهم الى رئيس الشرطة عنيمان فأنا أجريت عليهم رزقهم فى كل شهر بمقتضى الأوامر السامية التى أنفذها سيدى الى» والثانية من كاتب اسمه كينا الى رئيس له اسمه كجاناهو يقول فيها «أطعت ما أمرنى به سيدى قائلا أعط الجنود أرزاقهم والعبريو ايضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت اليه عناية رعمسيس مريمان فى جنوب منف (١) وقد

(١) مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ص ٨٩ وقد ذكر هذه الوثائق مؤلف العقد الثمين فى تاريخ مصر القديمة ص ١١٧ـ١١٩ .

رجح الباحثون ومنهم من جزم كالمطران الدبس ان العبريو هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين نموا وترعرعوا فى مصر ثم تعرضوا لقسوة ملوك مصر بعد تقويض حكم الهكسوس وخاصة رمسيس الثانى الذى كان يضطهدهم ويسخرهم فى أعمال البناء ونقل الحجارة مما ذكره الاصحاح الأول من سفر الخروج أيضا وكان ذلك سببا لفرارهم وخروجهم من مصر حيث يبدو من كل هذا أن اسم العبرانى والعبرانيات بالنسبة لذرية ابراهيم ويعقوب حقيقة تاريخية •

غير أنه ليس هناك أى أثر أو باحث يذكر أنه كان من موجات جزيرة العرب أو من الأقوام السامية حسب اصطلاح المؤرخين الاجانب ومن يتابعهم قوم يسمون «العبرانيين» قبل ابراهيم حيث يسوغ هذا القول ؛ ان هذا الاسم هو اسم خاص قد يكون أطلق على ابراهيم ومن جاء معه الى أرض كنعان أو على ذريته من بعده • وفى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع هذه العبارة «هكذا قال الرب الى اسرائيل فى عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت ابراهيم أباكم من عبر النهر وسيرته فى جميع أرض كنعان وكثرت نسله» وقد يفيد هذا أن بنى اسرائيل الذين يقررون أن أباهم الأكبر ابراهيم قد سموا أنفسهم بهذا الاسم لأن أباهم الأكبر كان من عبر النهر أى من وراء النهر الذى هو

نهر الفرات على الأرجح • والا فيكون اسم عبريو أو عبـرو أو عبران هو اسم العشيرة الدنيا وكانت الروايـات او الذكريات تذكر انها عشيرة ابراهيم ؛ وليس اسم موجة أو قبيلـة كبرى وهكذا لا يكون تناقض بين هذه التسمية وبين احتمال نسـبة ابراهيم الى الكلدانيين أو الآراميين أو الآموريين •

- ٢ -

وفى سفر التكوين نبذ كثيرة عن حياة ا
ثم عن أولاده وأحفاده نرجح انها لا تخلو
قررناه قبل وان تكن شيبت بالغلو والخيال بسبب تداولها سماعا عبر الأجيال ؛ وتأثرت على ما يلمح فيها الى درجة كبيرة بالاحداث التى وقعت لبنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وبالواقع الذى كانت عليه البلاد فى هذا الظرف بقصد ربط ما كان قائما موجودا من مسميات وأنساب بابراهيم وذريته ، وقصد ربط ما صار لبنى اسرائيل من حكم وملك وما فعلوه فى البلاد وأهلها وباختصاص ربانى لهم دون غيرهم متصل بابراهيم وذرية يعقوب وقصد تبريره والتنويه به • ولا يصعب على النبيه تبين ذلك من عبارات السفر المختلفـــة •

ومن أهم ما احتوته هذه النبذ أمر اتصال ابراهيم وبعض أبنائه واحفاده بالله وتجليه لهم وظهور ملائكته لهم ودعائهم باسمه وحده ذكر ذلك فى اصحاحات عديدة من السفر مرارا وبأساليب مختلفة مما سوف نورد نصوصه فى سياق الكلام ، وذلك بقطع النظر عما جاء فى هذه النصوص من اختصاصات نرجح انها من جملة ما كان متأثرا بتاريخ ووقائع بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر •

ولقد كان نزول ابراهيم حين طروئه على أرض كنعان عند شكيم فى مكان بلوطة مورة والكنعانيون حينئذ فى الأرض على ما ذكره الاصحاح الثانى عشر • وشكيم هى التى يقوم مقامها اليوم مدينة نابلس على الأرجح حيث يمكن أن يقال انه جاء الى هذه الأرض من طريق شرق الأردن فعبر النهر ومر بالغور المعروف اليوم بغور الفارعة الذى يؤدى الى شكيم ـ نابلس ، وقد ظلت هذه الطريق طريق كل من كان يأتى من العراق والجزيرة الفراتية الى المنطقة الوسطى من أرض كنعان وقد جاء فى الاصحاح المذكور أن الرب تجلى له وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب • ثم انتقل الى الجبل شرقى بيت ايل وضرب خباءه وغربيه بيت ايل وشرقيه العالى وبنى هناك مذبحا آخر ودعا باسم الرب • وبيت ايل اسم سماه يعقوب لمدينة كانت

تسمى لوز ؛ ويذهب مفسرو الأسفار (١) الى أنها اليوم بيت اين — وربما بيتونه — وهى فى طريق نابلس — القدس . ثم ارتحل الى الجنوب واشتد الجوع فى الجنوب فهبط الى مصر مع امرأته ساراى التى وصاها بان تقول انها أخته حتى لا يقتله المصريون رغبة فى اغتصابها منه اذا قال زوجته ؛ وكانت جميلة جدا فمدحوها لفرعون فأخذها الى بيته وأحسن بسببها الى ابراهيم الذى كان يسمى ابرام فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال .. ويقول الاصحاح المذكور ان الرب ضرب فرعون وأهله ضربات عظيمة بسبب ساراى فاستدعى ابرام وقال له : ماذا صنعت بى ؟ ولم لم تعلمنى انها امرأتك وقلت انها اختى حتى أخذتها لتكون لى امرأة ؟ والآن ها هى امرأتك خذها وامض وأمر بتشييعه هو وامرأته وكل ماله . والعبارة تفيد أن فرعون اتخذ ساراى امرأة له فى هذه الفترة وانه عاد على ابراهيم من ذلك ثروة عظيمة .

ثم ذكر الاصحاح الثالث عشر ان ابراهيم عاد من مصر الى بيت ايل ونصب خيامه فيها . وكان غنيا جدا بالماشية والذهب والفضة وكان للوط أيضا الذى كان معه فى مصر وعاد معه غنم وبقر وخيام فضاقت الأرض بهما وأخذ ينشب بين رعاتهما ورعاة الكنعانيين والفرزيين المقيمين فى الأرض خصومة فاقترح ابراهيم

(١) مقال فى العبرانيين للدبس ص ١١.

الافتراق تحاشيا من النزاع فرفع لوط طرفه ورأى كل بقعة الأردن فاذا جسيعها سقى كجنة الرب ــ وذلك قبل تدمير سدوم وعمورة ــ حتى تنتهى الى صوعه فاختارها لنفسه وارتحل اليها . وأقام ابراهيم حيث كان فى أرض كنعان وقال له الرب بعد أن فارقه لوط : ارفع طرفك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا فان جميع الأرض التى تراها أعطيها لك ولنسلك وأصير نسلك كتراب الأرض . فقم وامش فى الأرض طولها وعرضها فانتقل بخيامه حتى جاء وأقام فى بلوط ممرا التى بحبرون ــ وحبرون هى التى يقوم مكانها اليوم مدينة الخليل وبنى هناك مذبحا للرب .

والعبارة تفيد أن أرض كنعان هى فلسطين أو غرب الأردن فقط . ونرجح ان ما جاء فيها من وعود متأثر بما كان من واقع بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ومتأثر بفكرة الاختصاص التى نوهنا بها فيهم .

ويذكر الاصحاح الرابع عشر خبر مجىء امراقل ملك شنعار وأريوك ملك الأسار وكدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك الأمم(١) ومحاربتهم مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة

---

(١) يقول المطران الدبس فى كتابه مقال فى العبرانيين ص ٢٠ ان اكثر مفسرى الكتاب على أن المراد بالكلمة العشائر الرحل التى لا مقر لها وان هناك من قال انها تعنى ملك جليل الامم كما أن هناك من قال ان المقصود منها الامة المسماة فى الخطوط المسمارة كوتى .

وشنئاب ملك أدمة وشمئيبر ملك صبوئيم وملك بالع وقد ذكر أن هؤلاء اجتمعوا فى غور السديم وهو بحر الملح ــ والأرجح ان المقصود به بحيرة لوط او البحر الميــــت ــ وأنهم خضـــعوا لكدرلاعومر اثنتى عشرة سنة ثم عصوه ، حيث تفيد العبارة ان الغزاة المتحالفين تغلبوا على ملوك البلاد وأخضعوهم ، وأن رآسة الحلف كانت لكدرلاعومر ملك عيلام ، ثم ذكر الاصحاح نفسه أن كدرلاعومر والملوك الذين معه أقبلوا حينما أعلن ملـــوك الأرض العصيان فضربوا الرفائيين فى عشتروت فرنايم والزوزيين فىّ هام والايميين فى شوى فرينائم والحوريين فى جبل سعير الى سهل فاران الذى عند البرية ثم رجعوا وجاءوا الى عين مشــفاط وهى قادش فضربوا كل أرض العمالقة والأموريين المقيمين فى حصون تامار وخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك صبوئيم وملك بالع فصافوهم للحرب فى غور السديم • فانهزم ملكا سدوم وعمورة وسقطا فى آبار الحمر التى فى الغـــور والباقون هربوا الى الجبل • وغنم الغزاة جميع أموال سدوم وعمورة وجميع ميرتهم ومضوا وأخذوا لوطا ابن أخـــى ابرام وماله وجاء من أخبر ابرام العبرانى ــ ابراهيم الذى كان اسمه ابرام ثم سماه الرب ابراهيم على ما جاء فى الاصحاح من سفر التكوين وهو مقيم عند بلوطات ممرا الأمورى أخى أشــكول وعانر وهم حلفاؤه • فجرد ابرام حشمه المولودين فى بيته وعددهم

٣١٨ وجد فى أثرهم وتفرق عليهم ليلا هو وعبيـــده فكسرهم واتبعهم الى حوبة التى عن يسار ــ دمشق واسترجع جميع المال ولوطا والنساء وسائر القوم . فخرج ملك سدوم الى لقائـــه والملوك الذين معه . وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزا وخمرا لأنه كان كاهنا لله العلى وباركه وأثنى على الله الذى دفـــع أعداءه الى يديه وأعطاه العشر من كل شيء وقال له ملـــك سدوم : أعطنى النفوس وخذ المال . فقال له ابرام رفعـت يدى الى الرب العلى لا أخذت خيطا ولا شراك نعل من جميع مالـك لئلا تقول أناأغنيت ابرام ؛ ما خلا ما أكله الغلمان ونصيب القوم الذين مضوا معى عانر وأشكول وممرا فانهم يأخذون نصيبهم. وتدل العبارة على أن جماعة الآموريين الذين كان ابراهيم نازلا عندهم وحليفا لهم قد زحفوا معه لاســتخلاص لوط والأموال والنساء .

- ٣ -

ونستطرد الى بعض البيانات عن الملوك والشعوب المذكورة فى سياق غزوة كدرلاعومر وحلفائه ؛ لأن فى ذلك بعض الفائـدة فى تعريف حالة البلاد وسكانها فى ظروف طروء ابراهيم ؛ فنقول:

١ ــ ان عبارة الاصحاح الرابع عشر تدل على أن مدن أدمة

وحبوئيم وسدوم وعمورة وبالع كانت كراسى لخمس ممالك كانت موجودة قبل طروء ابراهيم . وكانت فى وادى الأردن على ما تفيده عبارة السفر . واللمحة العربية بادية على الأسماء حيث يسوغ القول انها وملوكها من الجنس العربى ، وقد يكونون من الكنعانيين .

٢ ـ ان مفسرى أسفار العهد القديم ذكروا ان مواقع الرفائيين والزوزيين والايميين والحوريين ومدنهم المذكورة فى الاصحاح الرابع عشر فى شرق الأردن (١) والخبر يدل بطبيعة الحال على أن هذه المدن كانت قائمة قبل طروء ابراهيم وأن هذه المنطقة كانت مأهولة بشعوب شتى ، وربما كان لكل منها مملكة وكانت كل مدينة كرسيا لمملكة أسوة بما تدل عليه العبارة بالنسبة لسدوم وعمورة وصبوئيم وأدمة وبالع .

٣ ـ لقد ذكرنا قبل شيئا عن الأموريين بما يغنينا عن التكرار

٤ ـ ان الحوريين ذكروا مرة أخرى فى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين فى سياق ذرية عيسو بن اسحق وسكناها جبل سعير وقبائلها وزعمائها فى أرض آدوم الذى هو أسم ثان لعيسو . وسعير أو آدوم هى المنطقة الجنوبية من شرق الأردن التى تقع فيها معان وبعض أنحاء العقبة ووادى موسى .

---

(١) كتاب مقال فى العبرانيين للدبس ص ٢٠ وما بعدها .

وقد جاء ذكرهم بهذه العبارة : «هؤلاء بنو سعير الحورى سكان الأرض ، لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشـــون وايصر وديشان . هؤلاء زعماء الحوريين بنى سـعير فى أرض آدوم . وبنو لوطان حورى وهيمام وأخت لوطان تمناع . وهؤلاء بنو شوبال : علوان ومنحت وعيبال وشنو وأونام . وهذان ابنـا صبعون : آية وعانة . وعانة هذا هو الذى وجد المياه الحميمة فى القفر حين كان يرعى حمير صبعون أبيه . وهذا ابن عانة ديشون، وبنت عانة أهليبامة . وهؤلاء بنو ديشان : حمدان وأشـبان وتيران وكران . وهؤلاء بنو ايصر : بلهان وزعوان وعقـان . وهذان ابنا ديشان : عوض وآران وهؤلاء زعماء الحوريـين : الزعيم لوطان والزعيم شوبال والزعيم صبعون والزعيم عانـة والزعيم ديشون والزعيم ايصر والزعيم ديشان . هؤلاء زعمـاء الحوريين فى أرض سعير»، ومن المحتمل أن تكون الأسـماء الاولى هى لأصحاب رئاسات الفروع التى كانت تسمى باسـماء آبائها الأولين والثانية لاصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت بأسماء الفروع .

والعبارة قد تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سعير امتدادا لوجودهم فيها منذ حياة ابراهيم حيث تعرضوا آنذاك لغـزوة العراقيين وذكروا بمناسبتها . واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء

بقوة حيث يسوغ القول انهم من أرومة عربية الجنس حلت في جبل سعير قبل القرن العشرين قبل الميلاد بمدة ما وامتد وجودها ونشاطها الى زمن خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر وبعده . ولاسيما ان هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ومن المعقول ان تكون من أول مجالات تسوج الجماعات التى كانت تخرج من جزيرة العرب آنا بعد آخر . ولا يبعد ان تكون كنعانية الأرومة لانه كانت فى هذه المنطقة جماعات من الكنعانيين لهم مدنهم وممالكهم .

ولقد ذكر الاصحاح السادس والثلاثون ايضا فى سياق ذكر الحوريين وزعمائهم ومواليد عيسو بن اسحق الذى سكن جبل سعير ونمت ذريته فيه وصار له فيه قبائل وزعامات ايضا سلسلة أسماء الملوك الذين ملكوا فى أرض آدوم قبل ما ملك ملك لبنى اسرائيل وهذه السلسلة هى : (١) بالع بن يعور وكانت مدينته — أى عاصمته على الأرجح — دنهابه (٢) يوباب بن زارح من بصره وملك بعد بالع (٣) حوشام من أرض التيمانى وملك بعد يوباب (٤) هداد بن بداد وكانت مدينته عويت وملك بعد حوشام وهو الذى كسر مديان فى بلاد مؤاب (٥) سملة بن سريقة وملك بعد هداد (٦) شاوول من رحبوت النهر وملك بعد سملة (٧) بعل حانان بن عكبور وملك بعد سملة (٨) هدار من مدينة فاعو وملك بعد بعل حانان .

ولا يصف السفر أرومات هؤلاء الملوك . واللمحة العربيــة بادية على أسمائهم وأسماء مدنهم حيث يسوغ القول أنهم مــن الأرومات العربية الجنس . ويظهر من العبارة أن الملوك من عشائر وأسر مختلفة ومن مدن مختلفة أيضا . ولعل كلا منهم كان ملكا فى مدينته ثم كان يفرض حكمه على جميع منطقة آدوم التى كانت تشغل الجزء الأكبر من شرق الاردن من ناحية الجنوب . ولمــا كان أول ملك لبنى اسرائيل هو شاوول الذى يسـميه القرآن طالوت وكان حكمه فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد فيــكون حكم هؤلاء الملوك فى الحقبة السابقة لهذا الظرف . ولا يمكن الجزم بما اذا كان هؤلاء الملوك هم جميع من تولوا ملك المملكة الآدومية قبل قيام ملك لبنى اسرائيل أو قسما منهم وان كنا نميل الى الرأى الأخير لأن ملك ثمانية ملوك مهما طال لا يزيد عن مئتين أو ثلاثمائة سنة فى حين أن وجود الأرومات العربية الجنس فى هذه المنطقة يستد الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد بكثير . ومن المحتمل ان يكون هؤلاء الملوك من الحوريين .

٥ ــ لم يذكر العمالقة مرة أخرى فى سفر التكوين ، ولكنهم ذكروا فى الأسفار الأخرى بمناسبة ما كان بينهم وبين بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر من أحداث وبأسلوب يفيد ان هذا الاسم كان أحيانا يطلق عليهم كوصف للدلالة على ما كان أصحابه عليه

من بسطة القامة والجسم كما كان يطلق عليهم وصف آخر لنفس الدلالة وهو الجبابرة • وأن منازلهم فى جنوب شرق الاردن مما يلى صحراء سيناء او النقب • وأسماؤهم وأسماء مدنهم تحمل اللمحة العربية بحيث يسوغ القول أيضا انهم من أرومة عربية الجنس حلت فى بعض انحاء شرق الأردن وصحراء النقب قبل القرن العشرين قبل الميلاد واستمرت قائمة الى زمن قدوم بنى اسرائيل من مصر وما بعده امتدادا لما قبل •

٦ ـ لقد ذكر الرفائيون فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ثانية فى جملة ما ذكر فيه من الأقوام الذين كانوا يسكنون الأرض • ثم ذكروا فى الاصحاح الثانى من سفر التثنية فى سياق نهى الرب عن معاداة المؤابيين بهذه العبارة «الأيميون سكنوا فيها ـ أى فى أرض مؤاب ـ فعلا شعب كبير وطويل كالعناقيين • هم أيضا يحسبون رفائيين (١) كالعناقيين لكن المؤابيين يدعونهم ايميين» • ثم ذكروا فى الاصحاح الثالث من السفر نفسه فى سياق ذكر عوج ملك باشان بهذه العبارة « ان عوج ملك باشان وحده بقى من بقية الرفائيين» • واسم مدينتهم «عشتروت قرنيم» التى ذكرت فى الاصحاح الرابع عشر من

---

(١) هذه العبارة فى النسخة البروتستانتية • أما النسخة الكاثوليكية فانها ذكرت كلمة جبابرة بدلا من كلمة رفائيين • غير انها ذكرت الرفائيين صراحة فى الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من سفر التكوين •

سفر التكوين تحمل اللمحة العربية القديمة وعشتروت خاصة كانت ترمز الى أحد الآلهة السماوية العربية فى بلاد اليمن والشام والعراق بحيث يسوغ القول انهم كذلك أرومة عربية الجنس حلوا فى بعض أنحاء شرق الاردن وغربه قبل القرن العشرين قبل الميلاد وأنشأوا المدن والممالك واستمروا فيها الى وقت قدوم بنى اسرائيل من مصر •

٧ ـ لقد ذكر الأيميون فى الاصحاح الثانى من سفر التثنية فوصفوا بالكثرة والطول وقال الاصحاح انهم كانوا فى المنطقة التى حل فيها المؤابيون أبناء لوط وهم يحسبون جبابرة كالعناقيين وهذه المنطقة من مناطق شرق الاردن واللمحة العربية بادية على اسم مدينتهم شوى قريتائيم بحيث ينسحب الكلام الذى قلناه بالنسبة للعمالقة والحوريين عليهم •

٨ ـ لم يذكر الزوزيون مرة أخرى • واسم مدينتهم هام التى ذكرت فى الاصحاح الرابع عشر يحمل اللمحة العربية وينسحب عليهم ما قلناه عن الأيميين والرفائيين والعمالقة والحوريين كما هو المتبادر •

٩ ـ ان مفسرى العهد القديم يراوحون تخمينهم عن شليم التى ذكرت وذكر ملكها ملكيصادق فى سياق غزوة كدرلاعومر وتخليص ابراهيم للوط والسبى والأموال بين أن تكون القدس التى سميت أورشليم وبين أن تكون مكان القرية القائمة اليوم

شرق نابلس لجهة الغور التى يقال لها سـالم (١) • وقد ذكرت شليم فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين بوصفهـا مدينة أهل شكيم • وقد يؤيد هذا كون شليم هى سالم اليـوم لأنها قريبة الى نابلس التى قامت مقام شكيم • واللمحة العربية بادية على اسم الملك والمدينة بقوة ومن المحتمل أن يكون مـن الكنعانيين •

وتفيد العبارة أن ملكيصادق كان موحدا • ولا يعرف على وجه التحديد ماذا كان يقصد بكلمة كاهن التى وصف بها فى ذلك الوقت ولعلها كانت تعنى النبوة أوما فى مؤداها • وهكذا تكون فكرة التوحيد قائمة فى أرض كنعان قبل قدوم ابراهيم اليها •

- ٤ -

ونعود الآن الى سياق سيرة ابراهيم وذريتـه فنقول ان الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ذكر خبر تجلى الرب لابراهيم مرة أخرى ووعده له باخراج ذريته منه وتكثير نسـله واخباره بان ذريته ستكون غريبة فى أرض ليست لها وتستعبد

(١) مقال فى العبرانيين للدبس ص ٢٠ وما بعدها •

فيها وتعذب اربعمائة سنة ثم ترجع فى الجيل الرابع الى الأرض ثم بت معه عهدا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات وسأمكنكم من القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والآموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين •

ويلحظ أن وعود الرب لابراهيم كانت قبل قاصرة على أرض كنعان التى كان يفهم من عبارة الاصحاحات انها الواقعة غرب الأردن بينما يحتوى هذا العهد هذه الحدود الشاسعة الواسعة وهذه الأقوام العديدة • وهذا فضلا عن وعد التمكين والغلبة على السكان الذى لم يرد قبل والذى يعنى بالبداهة أنه سيتم بالقوة والقهر مما يسوغ القول ان تدوين العهد بهذا الشكل متأثر بما كان من وقائع وأحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وبما كان من غلبتهم بالقوة والحرب والدم على ما غلبوا عليه من البلاد وأهلها • وذكر حياة ذرية ابراهيم فى أرض غريبة وتعرضها للتعذيب والاستعباد اربعمائة سنة ثم رجوعها الى أرض كنعان وتمكينها من تلك الحدود والأقوام مما ينسحب عليه هذا القول بل ولعله من مؤيداته •

ولقد مر ذكر الرفائيين والأموريين والكنعانيين قبل وعرفناهم

أما بقية الشعوب التي ذكرت في الوعد المزعوم من الله لابراهيم الذي احتواه الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين فانها تذكر هنا لأول مرة .

ولقد تكرر ذكر الحيثيين وبني حث في سفر التكوين والاسفار الأخرى بأسلوب يفيد أنهم كانوا يشغلون حيزا في أرض كنعان، حيث ذكروا في الاصحاح الثالث والعشرين بمناسبة شراء ابراهيم من عفرون الحثي حقلا ومغارة في قرية أربع لدفن سارة ، وقد وجه ابراهيم في هذه المناسبة الخطاب الى بني حث وقال لهم «انى غريب ونزيل عندكم» . وقرية أربع هي حبرون ، ومعنى هذا أن الحيثيين في هذا الخبر كانوا في منطقة حبرون ، ثم ذكروا في الاصحاحين السادس والعشرين والسادس والثلاثين بمناسبة تزوج عيسو بن اسحق حينما كان مقيما في قرية أربع بامرأتين منهم ، اسم احداهما يهوديت بنت بئري الحثي وثانيهما بسمة بنت ايلون الحثي . وذكروا في أسفار يشوع والقضاة بأسلوب يدل على أنهم كان لهم بعض الشأن والحيز في غرب الأردن بمناسبة طروء بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر امتدادا لكيانهم السابق ، وذكروا في سفر صموئيل الثاني ــ الملوك الثاني في النسخة الكاثوليكية ــ بمناسبة ذكر قائد منهم اسمه أوريا أحب داود زوجته وضاجعها حسب ما ذكر فيه ، حيث ينبه ذلك أن هذا

القبيل ظل مستمرا ذا نشاط وبروز الى ظروف خـــروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على غرب الأردن ، ثم الى ما بعـــد ذلك بأمد طويل .

ومن المعروف انه كان فى شمال سورية شعب اسمه حيثــا الذى عرب الى الحيثيين كان له بروز ونشاط وملك وحروب فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبعده ، ومعظم الباحثين يذهبون الى أن هذا الشعب من الجنس الآرى عدا مفسرى العهد القديم الذين يأخذون أنساب سفر التكوين قضية مسلمة ويقولون ان حثا هو أحد ابناء كنعان بن حام بن نوح (١) .

ولقد وصف الاصحاح السادس والثلاثون من سفر التكوين زوجتى عيسو الحيثيتين بصفة بنات كنعان . والاسماء الحيثية التى وردت فى هذا السفر تحمل اللمحة العربية ، ولا ندرى هل هذا وذاك كان بسبب كون كثرة سكان الأرض كنعانيين وغلبة طابعهم عليهم ، وأنهم جالية من الحيثيين الشماليين جاءت الى هذه المنطقة واستقرت فيها قبل القرن العشرين قبل الميلاد ثم استمرت فيها وانطبعت بالطابع الكنعانى أم لانهم حقا اخوة الكنعانيين أو فرع من فروعهم .

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٠ والمجلد الاول الجزء الاول من تاريخ سورية للدبس من ١٠٤ وما بعدها .

أما الاسماء الاخرى فمنها ما تكرر ذكره فى الأسفار التى ذكرت قصة خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الأردن وغربه فى جملة سكان الأرض وأهلها • أى أنهم ظلوا الى أن جاء بنو اسرائيل فى القرن الثالث عشر• وقد ذكر الفرزيون فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين فى مناسبة بما يدل على انهم من سكان منطقة شكيم ـ نابلس اليوم ـ وذكر اليبوسيون فى الاصحاح الخامس عشر من سفر يشوع بما يدل على انهم كانوا سكان مدينة أورشليم • وفى الاصحاح العاشر من سفر التكوين هذه العبارة «وكنعان ولد صيدون بكره وحثا • واليبوسى والأمورى والجرجاشى والحوى والعرقى والسنى والأروادى والصمارى والحمانى • وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى» والعبارة تفيد ان هذه الشعوب تجمعها الجامعة الكنعانية •

ولئن كانت مواليد نوح الأولى الواردة فى سفر التكوين تتحمل التوقف والحذر فان مما يلحظ ان هذا السفر وبالتالى هذه العبارة قد كتبت لاول مرة فى ظروف طروء بنى اسرائيل على أرض كنعان واحتكاكهم بهذه الشعوب وتعرفهم الى واقع أرومتها ونسبتها وهذا مما يسوغ تصويب أرومتها الكنعانية وخاصة انها كانت تنزل فى أرض كنعان • ومن المحتمل أن تكون

قد تميزت بميزة ما جعلتهم يذكرون منفردين أو أن تكون نسبتهم آتية من اسماء مدنهم •

ونعود الى سياق سيرة ابراهيم فنقول ان الاصحاحين السادس عشر والحادى والعشرين احتويا قصة عقم ساراى وعرضها على ابراهيم الدخول على جاريتها هاجر المصرية ؛ وحمل هذه باسماعيل وغيرة ساراى منها واضطهادها لها وطلبها من ابراهيم بعد ولادتها اسحق ابعادها مع ابنها ؛ واشتداد الطلب على ابراهيم وظهور ملاك الرب له وأمره باستماع كلام ساراى قائلا بلسان الرب «باسحق يدعى لك نسل • وابن الأمة ايضا اجعله أمة فانه نسلك» ثم قصة صرف ابراهيم لهاجر مع ابنها وتيهها فى برية بئر السبع واتجاهها بعد ذلك بأمر الرب الى برية فاران واقامتها فيها وتزويجها اسماعيل بامرأة من أرض مصر •

ويلمح فى القصة وخاصة فى محاولة تمييز نسل اسحق وجعله هو صاحب الصلة الاصيلة بابراهيم أثر ما كان من أحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وسيرتهم فى شرق الاردن وغربه •

وفى الاصحاح السابع عشر خبر تجلى الرب لابرام قائلا له «انا الله القدير اسلك أمامى وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك جدا جدا • وتكون أبا جمهور أمم ولا يكون اسمك ابرام بل ابراهيم • وأجعلك أمما ويخرج منك ملوك وأعطيك

أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكـا مؤبدا وأكون لهم الها» وقد أمره فى هذا التجلى بالاختتان كسنة مستمرة له ولنسله وكعلامة عهد بينه وبينهم • وقال الله لابراهيم « ساراى امرأتك لا تسمها ساراى بل سمها سارة وأنا أباركها وأعطيك منها ابنا ويكون منها أمم وملوك • فسقط ابراهيم على وجهه وضحك وقال فى نفسه الابن مئة سنة يولد ، أم سـارة وهى ابنة تسعين تلد ؟ ثم قال للرب لو ان اسماعيل يحيى بين يديك فقال الله بل سارة ستلد لك ابنا وتسميه اسحق واقيـم عهدى معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده • وأما اسماعيل فقـد سمعت قولك فيه وها أنا أباركه وانميه وأكثره جدا ويلد اثنى عشر رئيسا وأجعله امة عظيمة غير ان عهدى أقيمه مع اسـحق الذى تلده سارة وحينئذ ختن نفسه وختن ابنه اسماعيل وكل رجال منزله مواليد بيته وعبيده الغرباء •

وأثر ما نبهنا عليه من تعصب بنى اسرائيـل ومزاعمهـم الاختصاصية آنفا ملموح فى هذه النصوص التى جاءت لتؤكـد مرة أخرى جعل اسحق بأمر الله هو صاحب النسبة الأصليـة الى ابراهيم •

فى الاصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر قصة غضب اللـه على سدوم وعمورة لآثامهما وارساله الملائكـة لتدميرهمـا

وامطارهما نارا وكبريتا وقلب عاليهما سافلا • وفى الاصحاحين نصوص عديدة فيها خبر تجلى الرب لابراهيم ولوط وقدوم الملائكة اليهما ومجادلة ابراهيم للرب فى شأن هلاك سدوم وعمورة •

ومما ذكره الاصحاح التاسع عشر تآمر ابنتى لوط على أبيهما بعد تدمير سدوم وعمورة ونجاته منهما لئلا يموت بدون نسل حيث أسكرتاه وضاجعتاه واحدة بعد أخرى فى مغارة قرب صوعة التى كان اسمها بالع فولد لكبراهما ابن سمته مؤاب وهو ابو المؤابيين وولد لصغراهما ابن سمته عمى وهو أبو العمونيين •

ونستطرد الى القول بان الأسفار التى احتوت قصة خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الاردن وغربه وتاريخهم فيهما ذكرت المؤابيين والعمونيين كثيرا بمآ يفيد أنهم كانوا أصحاب قوة وملك وحيز كبير وظلوا كذلك الى أمد طويل أيضاً وفى الاصحاح الثانى من سفر التثنية نهى من الرب لبنى اسرائيل عن معاداتهم وتنبيه لهم بانه ليس معطيهم من أرضهم شيئا ولو موطىء قدم لأنه جعلهما ميراثا لبنى لوط •

وليس ما يمنع أن يكون المؤابيون والعمونيون من ذرية لوط كما أنه ليس ما يمنع أن يكون ذكر ذلك متأثرا بما كان من

واقع ودعوى حين طروء بنى اسرائيل على شرق الأردن فأريد به ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحته وعدمها .

واذا صح فالمرجح أن لا يكون بنو لوط قد احتفظوا بدمهم وأن يكونوا قد اختلطوا بمن كان فى الأرض قبلهم وان كانوا احتفظوا باسمى أبويهما الأولين واستطاعوا أن يجعلوهما شاملين لجميع السكان والمنطقة . ووصف الأيميين والزمزميين بالوصف القوى الذى وصفوا به يقوى ترجيحنا ، فانه لا يعقل أن يكون بنو لوط قد أبادوهم . وبنو اسرائيل مع ما عمدوا اليه من شدة القمع والابادة لم يبيدوا سكان فلسطين . وكل ما يمكن أن يكون انهم حلوا فى أرضهم وبرزوا عليهم فاختلطوا ببعض وصار الخليط يسمى مؤابيين وعمونيين .

وفى الاصحاح العشرين من سفر التكوين خبر ارتحال ابراهيم الى أرض الجنوب واقامته بين قادش وشور ونزوله بجرار التى يقول الدبس انها واقعة شرق خان يونس وأن مكانها يعرف اليوم باسم أم الجرار فالمنطقة التى ارتحل اليها والحالة هذه هى منطقة بئر السبع . وقد قص الاصحاح قصة تشبه قصة سارة مع فرعون ، حيث قال ابراهيم عنها انها أخته فبعث أبيمالك ملك جرار فأخذها وباتت عنده . ويقول الاصحاح : « ان ملك الله جاء الى الملك بالليل فأنذره بالهلاك وأمره برد سارة الى زوجها فيدعو له ويحيا لأنه نبى » فبكر أبيمالك ودعا ابراهيم وعاتبه

فقال له انى خفت أن أقتل بسبب امرأتى فردها اليه وأعطاه غنما وبقرا وعبيدا واماء وقال له هذه بلادى بين يديك فأقم حيث طاب لك ، وأعطى سارة ألفا من الفضة تكون لها حجاب عين حيثما ذهبت قائلا لها : اذكرى انك أخذت . وهكذا على رأى الاصحاح قد عاد على ابراهيم بسبب امرأته أموال عظيمة للمرة الثانية . ومن غرائب القصة ما تنطوى فيه من معنى احتفاظ سارة بجمالها الذى أغرى الملك ، مع أنها كانت قد بلغت التسعين من عمرها على ما ذكره اصحاح سابق !

وفى الخبر ما يفيد أن منطقة جنوب فلسطين أو منطقة بئر السبع والنقب كانت فى ذلك الزمن مأهولة وكان فيها مدن وممالك . والأسماء الواردة أى قادش وجرار وأبيمالك تحمل اللمحة العربية القديمة وتسوغ القول بالتالى ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالأرومات العربية الجنس أسوة بأنحاء فلسطين الأخرى .

ومهما يكن من أمر قصة ابراهيم وساراى مع ملكى مصر وجرار فمما يتبادر للذهن أن تسجيلها على الوجه الذى سجلت به قد كان عاملا فيما عرف من اتساع حوصلة بنى اسرائيل وحيلهم وعدم تورعهم عن مواقف مماثلة بسبيل وقاية أنفسهم وجر المغانم فى وقت واحد !

وفى الاصحاح الرابع والعشرين قصة وصية ابراهيم لكبير عبيده الذى وصف فى الاصحاح الخامس عشر بقيم بيته واسمه اليعازر الدمشقى بأن لا يزوج ابنه اسحق من بنات كنعان بل يزوجه من أرضه وعشيرته وذهاب هذا الى آرام النهرين حيث مدينة ناحور أخى ابراهيم وخطبته ابنته رفقة فى سياق طويل • والراجح أن هذا كان جريا على عادة تتحكم دائما فى الناس المتغربين وهو جنوحهم الى التزوج من أهلهم دون الغرباء الذين يساكنونهم • ولا يرد أن ابراهيم رغب عن الكنعانيات لوثنيتهن، فان أسرته فى آرام النهرين كانت وظلت وثنية ، على ما تفيده عبارة وردت فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر التكوين حيث سرقت راحيل زوجة يعقوب أصنام ابيها حينما انصرف زوجها مع نسائه وأولاده ومواشيه من حاران •

وفى الاصحاح الخامس والعشرين خبر زواج ابراهيم بزوجة جديدة اسمها قطورة بعد وفاة سارة وولادتها منه ستة أولاد وهم زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا • ثم استطرد الاصحاح فقال وولد يقشان شبا وددان • وبنو ددان هم أشوريم ولطوشيم ولؤميم • وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وأبى داع والدعة وبعض هذه الأسماء كان مدنا أو قبائل فى ظروف خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الأردن • ومما يتبادر الى الذهن أن التسميات متأثرة بما كان من واقع حين تدوين

السفر أريد به ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحته جزئيا أو كليـــا .

ثم قال الاصحاح «وأعطى ابراهيم جميع ماله لاسحق ووهب لبنى السرارى هبات وصرفهم عن اسحق ابنه فى حياته شرقا الى أرض المشرق» ومع أن الكلام عن قطورة وأولادها فقد جاءت جملة « أبناء السرارى » بصيغة الجمع لتشمل اسماعيل أيضـــا كما هو المتبادر ، مما فيه أثر زعم الاختصاص الذى نبهنا عليـــه ومحاولة حصر ارث ابراهيم باسحق وارث اسحق بيعقوب دون غيرهما كما هو ظاهر . ثم ذكر الاصحاح خبر وفاة ابراهيم ودفنه من قبل ابنيه اسحق واسماعيل فى مغارة المكفيلة فى حقل عفرون الحثى . وذكر اسماعيل فى الخبر عجيب لأن ابراهيم أبعده مـــع أمه كما ذكر الاصحاح الحادى والعشرين الذى ذكر أنهما استقرا فى برية فاران !

وفى الاصحاح نفسه ذكرت مواليد اسماعيل هكذا : نبايوت وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيمـــا ويطور ونافيش وقدمة . ثم قال الاصحاح هؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب أحويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيمـــا لقبائلهم وكانت مساكنهم من حويلة الى شور التى تجاه مصر . وبعض هذه الاسماء كان مدنا وقبائل حين خروج بنى اسرائيـــل من مصر وطروئهم على شرق الأردن ، والعبارة تفيد انهم يذكرون

على اعتبار انهم نموا وترعرعوا وغدوا قبائل كل منها تتسمى باسم احد الابناء الأولين التى تنتسب اليه ؛ وتفيد أن هذا كان الواقع حين دونت وأن فيها محاولة ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحة بنوة هذه القبائل لاسماعيل وعدمها • ومن الجدير بالذكر أن الأسفار التى ذكرت سيرة خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الاردن واحتكاكهم بالشعوب التى فى طريقهم لم تذكر لقاء ولا صداما بينهم وبين هذه القبائل التى قال الاصحاح انها ذرية ابناء اسماعيل • ولقد ذكرت برية فاران التى ذكر الاصحاح الحادى والعشرون من سفر التكوين أنها كانت منزل اسماعيل وأمه ومستقره فى جملة المواقع التى مروا بها فى طريقهم الى أرض كنعان على ما ذكره سفر العدد فى الاصحاح الثالث عشر •

وفى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ذكر خبر ولادة عيسو ويعقوب لاسحق • وكانا توأمين ؛ وكان عيسو الأول نزولا • وكان أكلف اللون كفروة شعر فسمي عيسو وخرج يعقوب قابضا على عقب عيسو فسمي يعقوب ومما ذكره الاصحاح

أن عيسو نشأ عارفا بالصيد بريا ونشأ يعقوب رجلا سلميا مقيما بالخيام وأن اسحق أحب عيسو ، ورفقة أمهما أحبت يعقوب ، وأن يعقوب طبخ طبيخا وقدم عيسو من الصحراء تعبا فطلب من أخيه أن يطعمه فأبى الا مقابل تنازله عن حق بكوريته فقال عيسو أنا صائر الى الموت فمالى والبكورية فتنازل ليعقوب عنها وحلف له على ذلك فأطعمه • وقد تكون القصة صحيحة أو لا تكون وقد يلمح فيها أثر فكرة تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من ارث اسحق وهى الفكرة الكامنة فى مزاعم الاختصاص التى كان وظل بنو اسرائيل وبنو يعقوب الذى كان اسرائيل اسمه الثانى يزعمونها لأنفسهم على ما نبهنا عليه قبل • وعلى كل حال ففيها صورة عجيبة للانانية القاسية وأثرها حتى فى أخ ازاء أخيه • ولقد كان يبدو تسجيلها ذا أثر عجيب فى بنى اسرائيل الى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة فى كل وقت الى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وان يصبح خلقا راسخا من أخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهرا بعد دهر ويتأثر به كذلك الذين اعتنقوا اليهودية من غير بنى اسرائيل •

وفى الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين قصة نزول اسحق بأمر الرب الى أرض أبيمالك ملك جرار بسبب الجوع الذى ألم بالارض التى كان فيها والتى هى منطقة حبرون

أو أربع على ما ذكره اصحاح آخر ، وتجلى الرب له ووعده لـه بالبركة واعطائه ونسله جميع البلاد وتكثير نسله مما يلمح فيه آثر الرغبة الاختصاصية التى نبهنا عليها قبل؛ ومما ذكره الاصحاح ان اسحق قال عن زوجته ــ التى كانت معه وكانت جميلة ــ انها أخته وكادت قصة زوجة ابيه تتكرر لولا ان الملك اكتشف انهـا زوجته فعلا ؛ وأنه زرع فتضاعف زرعه مائة ضعف وصار لـه مواش وعبيد ، وأن ذلك أثار حسد الفلسطينيين [1] عليه وجعلهم يردمون الآبار التى حفرها ويخاصمونه عليها مما جعله ينزح الى مكان بئر السبع ويحفر فيه بئرا ذات ماء عظيم ويسمى المكان بئر الشبع بسبب فيض ماء البئر ، وفى آخر الاصحاح خبـر تزوج عيسو بيهوديت بنت بئرى الحثى وبسمة بنت أيلون الحثى وعدم رضاء نفس والديه عن ذلك .

وفى الاصحاح السابع والعشرين قصة طلب اسحق من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده لتباركه نفسه وتحريض رفقة ليعقوب بأن يصنع ذلك وأن يتقدم لأبيه ليأخذ بركته بدلا من أخيـه ، وقد كست يديه وملاسة عنقه بجلد من المعز ليكون ملمســه

---

(١) المتبادر ان القصد هو أهل المنطقة وان السفر سماهم الفلسطينيين تأثرا بواقع وجود الشعب الذى عرف بهذا الاسم والذى كان يسكن فى جنوب فلسطين حينما طرأ بنو اسرائيل على ارض كنعان بعد خروجهم من مصر فى حين ان طروء هذا الشعب انما كان فى القرن الرابع عشر فقط على ما سوف نشرحه فى مناسبة آتية .

ملمس عيسو وتقدم لأبيه باسم عيسو وقدم اليه الطعام الذى صنعه وكان اسحق قد عمى فلمس ابنه فرأى ملمسه ملمس عيسو مع أن صوته صوت يعقوب ، ومع ذلك باركه قائلا « يعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ويكثر لك الحنطة والخمر وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل وتكون سيدا لاخوتك ويسجد لك بنو أمك ويكون لاعنك ملعونا ومباركك مباركا » وجاء عيسو بعد ذلك بالطعام الذى صنعه من صيده الى أبيه وحينئذ أدرك اسحق الخديعة فارتعش ارتعاشا شديدا ولكنه قال له قد جعلته سيدا لك ودفعت اليه جميع اخوته عبيدا وبالحنطة والخمر أمددته فماذا أصنع لك ثم قال له لما بكى : بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن ظل السماء من العلو وبسيفك تعيش وأخاك تخدم وتكسر نيره عن عنقك اذا قويت ، وقد أثارت الخديعة حقد عيسو وأضمر الشر لأخيه مما جعل أمه تهربه الى ديار خاله لابان فى حاران ليقيم بها مدة حتى ينفثىء غضب أخيه عليه .

وفى القصة تكرار للصورة العجيبة من الأنانية وأثرها فى يعقوب ازاء أخيه عيسو ، وعجيبة اشتراك أم عيسو فى مؤامرة ضد ابنها وان كان يمكن ان يعزى ذلك الى كراهيتها لزوجتيه . ثم عجيبة انخداع اسحق واصراره على حرمان عيسو وتفضيل يعقوب بعد أن عرف بخديعة يعقوب له ، ومهما يكن من أمر فان

فكرة توكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتميز وتسجيل سيادتهم على اخوتهم وابناء اخوتهم وسائر أمم الأرض وعبوديتهم لهم ملموحة بكل قوة فى القصة مما جعل مدونى السفر يسيغون تدوينها مع ما فيها من تلك الصور العجيبة التى تسجل شدة أنانية وخداع يعقوب وغباء اسحق • والمتبادر أن هذا التسجيل من العوامل التى ظلت تدفع بنى اسرائيل الى الأثرة والانانية والخداع مهما كانت الوسائل والأساليب ••

- ٦ -

وفى الاصحاحات ٢٨ ـــ ٣١ سياق طويل يقص فيه قصة وصية اسحق ليعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل من بنات خاله فى فدان أرام ودعوته له بأن يعطيه بركة ابراهيم له ولنسله ليرث أرض غربته التى وهبها الله لابراهيم ، وذهابه الى حاران واتفاقه مع خاله لابان على خدمته سبع سنين مقابل زواجه بابنته راحيل ونقض لابان الاتفاق بزفاف ابنته ليئة عليه بدلا من راحيل التى أحبها وخدمته لخاله سبع سنين أخرى مقابل زواجه براحيل وخدمته ست سنين لخاله مقابل قطعان من المواشى اعطاها له ، وهبه راحيل أمتها بلهة وليئة أمتها زلفة ليعقوب لاستيلادهما

فى ظروف امتنعتا فيهآ عن الحمل ، وولادة رأوبـــين وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويساكر وبنتا اسمها دينة من ليئـــة ويوسف من راحيل ودان ونفتالى من بلهة وجاد واشير من زلفة أثناء مقامه فى حاران (١) ، ونمو غنم يعقوب نموا عظيما حتى أثار حسد وحقد خاله وابنائه مما جعله ينصرف مغاضبا لهم بزوجاته وأولاده ومواشيه وأمواله ويعود الى أرض كنعان • ومما ذكره الاصحاح الحادى والثلاثون ان راحيل سرقت أصنام أبيها ؛ وأن لابان وأبناءه خرجوا فى أثر يعقوب وأدركـوه فى شرق الأردن وعاتبوه على فراره وسرقة اصنامهم وأن الرب تراءى للابان فى الحلم ــ مع انه وثنى ــ وأمره بعدم مس يعقوب بشر مما جعلــه فى النهاية يجنح الى مسالمته وقطع عهد سلام معه • وقد ذكــر الاصحاح الثامن والعشرون خبر رؤية يعقوب للرب فى حلمـــه ووعده له بتنمية نسله وتبارك جميع قبائل الارض به وبنسلــه واعطائه الأرض له ولنسله ، مما هو متأثر فيما هو المتبادر بفكرة اختصاص يعقوب بالبركة والأرض التى ظلت تحرك بنى اسرائيل وتحملهم على تسجيل ذلك المرة بعد المرة •

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين قصة طريفة حيث ذكر ان رجلا ظهر ليعقوب وهو فى طريقه فصارعه حتى مطلع الفجر وأبى أن

(١) المعروف ان ابناء يعقوب اثنا عشر وهؤلاء احد عشر • أما الثانى عشر فقد ولد له من راحيل بعد خروجه من حاران وهو بنيامين •

يطلقه حتى يباركه . وقد سأله الرجل عن اسمه فقال له انه يعقوب فقال لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل اسرائيل لانـك اذا رؤست عند الله فعلى الناس أيضا تستظهر (١) وسأله عن اسمه فلم يقله له وباركه ومضى وسمى يعقوب المكان فنوئيل قائـلا انى رأيت الله وجها الى وجه ، مما يبدو فيه الخيال من جهـة وفكرة تسجيل عناية الرب بيعقوب وتقديره علوه وبالتالى علو نسله على الناس من جهة أخرى ..

وفى هذا الاصحاح والاصحاح الذى يليه خبر لقاء عيسـو مع يعقوب فى الطريق وتخوف يعقوب منه لما يعرف من سابـق حقده عليه واستغاثته الله بانقاذه ، واظهار عيسو الترحيب بـه والمودة له خلافا لما توقع ، وتقديم يعقوب اليه هدية من المواشى التى جاء بها ، ورجوع عيسو بعد ذلك الى سعير ، واستمرار يعقوب فى طريقه الى أن دخل أرض كنعان ونزل عند شكيم حيث ابتاع حقلا من أهلها وأقام مذبحا ودعاه باسم الله القدير الـه اسرائيـــل .

وفى الاصحاح الرابع والثلاثين قصة عدوان شكيم بن حمور الحوى رئيس البلد على عرض دينة بنت يعقوب وشغفه بها وطلبها من أبيها لتكون زوجة له بواسطة أبيه . وقد عرض الأب على

---

(١) فى النسخة البروتستانتية العبارة جاءت هكذا «لانك جاهدت مع اللـه والناس وقدرت » .

يعقوب وبنيه تبادل الصهارة والاقامة بين ظهرانيهم والاتجار والتملك ، وأظهر استعداده لاعطاء المهر الذى يطلبونه لدينة لأن ابنه علق بها . وقال بنو يعقوب لا نستطيع ان نعطى أختنا لرجل أقلف لأن ذلك عار علينا . فاذا اختتن كل منكم فحينئذ نوافقكم ونصاهركم ونقيم عندكم ونصير شعبا واحدا . وكان ذلك منهم كيدا ومكرا على ما ذكره الاصحاح نفسه . ووافقه الفتى واختتن واقنع أبوه أهل المدينة فاختتن كل ذكر فيها حسب طلب بنى يعقوب وحينئذ استل شمعون ولاوى أخو دينة سيفين ودخلا المدينة آمنين وقتلا كل ذكر بما فيهم حمور وشكيم اغتناما لفرصة جراح الختان ووجعه وأخذوا اختهم وسبوا جميع نساء المدينة وأطفالها واستاقوا جميع ما فيها من بقر وغنم وحمير ونهبوا جميع أموالها . واستبد الخوف بيعقوب وقال لبنيه لقد أشقيتمانى وأخبثتما ريحى عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا فى نفر معدود فيجتمعون على ويقتلوننى أنا وأهل بيتى ، ثم خرج من المنطقة بامر الرب الى بيت ايل فأقام فيها مذبحا ثم ارتحل منها الى قرية أربع حيث كان ينزل ابوه اسحق .

والمبالغة بادية فى وصف ما فعله لاوى وشمعون من قتل جميع الذكور وسبى الاطفال والنساء ونهب جميع الاموال واستياق جميع المواشى وينقض ذلك ما حكاه الاصحاح من خوف يعقوب من أهل المنطقة وفراره منها الى محل بعيد مأهول

بشعب غير الشعب الذى يأهل منطقة شكيم حيث كانت هــذه المنطقة مأهولة بالكنعانيين بينما كانت منطقة اربع مأهولــة بالأموريين على ما مر بيانه .

ومهما يكن من أمر ففى القصة حادث غدر عجيب نحو شعب برمته بسبب عاطفة غرامية لشخص منهم ، وخاصة بعد أن أظهر هذا الشخص وأبوه رئيس البلد وأهل المدينة كل استعداد لتلافى الأمر ، ووافقوا على كل شرط ومنحوا يعقوب وبنيه كل شيء . ومما لا ريب فيه أن تسجيل هذا الحادث من العوامــل التى أصلت الروح التى صدر عنها هذا الغدر فى بنى اسرائيل وجعلتهم لا يتورعون عن ارتكاب مثله فى كل فرصة ومناسبة ..

ونستطرد الى القول . ان اسم «الحوى» يذكر هنا لأول مرة وقد ذكر فى الاصحاح السادس والثلاثين اسم احدى زوجــات عيسو بن اسحق هكذا «أهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوى» حيث يدل على أنه كان فى غرب الأردن أرومة تسمى الحويين . وقد ذكر الخويون فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج أيضا فى جملة من ذكر من أسماء شعوب أرض كنعان حين خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ولقد قال الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين حينما ذكر خبر نزول ابراهيم لأول مرة عند شكيم «والكنعانيون حينئذ فى

الأرض» مما يستأنس به ويسوغ القول ان الحويين فرع من فروع الكنعانيين •

وفى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين خبر تجلى الرب ليعقوب بعد خروجه من منطقة شكيم على الوجه الذى خرج به وتكرار وعده له بتنمية نسله واخراج ملوك من صلبه وجعل الأرض التى أعطاها لابراهيم واسحق له ولنسله والمتبادر ان هذا متأثر بفكرة الاختصاص التى ظلت تتحكم فى أذهان بنى اسرائيل وتجعلهم يسجلونه المرة بعد المرة •

وفى الاصحاح خبران عجيبان : أولهما قول يعقوب لأهله «أزيلوا الآلهة الغريبة التى بينكم» فسلموها اليه • أى أن أهل يعقوب لم يلبثوا أن تأثروا بمن كانوا يسكنون عندهم من أهل الأرض فاتخذوا أصنامهم آلهة لهم •

ولقد كانت زوجتا يعقوب حديثتى عهد بالوثنية لأن لابان أباهما كان وثنيا وقد سرقت راحيل أصنامه على ما مر ذكره قبل قليل • ولقد ظل هذا ديدن بنى اسرائيل فى مختلف أدوار تاريخهم القديم حيث كانوا لا يلبثون أن ينجرفوا الى الوثنية تأثرا بمن كان حولهم من الشعوب على ما سوف نشرحه بعد • أما ثانى الخبرين : فهو مضاجعة راؤبين بكر يعقوب لبلهة زوجة أبيه وأم دان ونفتالى ، وانتشار الخبر عند الجميع • ومن العجيب أن الاصحاح لم يسجل أثرا لهذا العار الذى كان أعظم من عار هتك

عرض دينه ! ولقد تكرر مثل ذلك فى تاريخ بنى اسرائيل على ما سجلته الأسفار مما سوف نورده بعد .

وقد ذكر فى آخر الاصحاح خبر وفاة اسحق ودفنه من قبل ابنيه يعقوب وعيسو واقحام عيسو فى الخبر عجيب مثل اقحام اسماعيل فى خبر دفن ابراهيم مع اسحق لأن عيسو قد نزح وسكن فى جبل سعير فى أقصى جنوب شرق الأردن !

- ٧ -

ولقد ذكر الاصحاح الثامن والعشرون أن عيسو لما رأى أن بنات كنعان شريرات فى عينى أبيه الى اسماعيل فتزوج بنتا له اسمها محلة بالاضافة الى زوجاته الأوليات ثم ذكر الاصحاح السادس والثلاثون مواليد عيسو وزوجاته مع شيء من التناقض ، حيث سميت بنت اسماعيل هنا بسمة وسميت زوجتاه الأوليان عادة بنت ايلون الحثى وأهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوى ووصفتا بصفة بنات كنعان . وقد ذكر الاصحاح انه ولد لعادة ولد اسمه اليفاز ولبسمة ولداسمه رعوئيل ولأهليبامة ثلاثة أولاد هم يعوش ويعلام وقورح . وهؤلاء ولدوا فى أرض كنعان . ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وكل نفس فى بيته وماشيته

وكل بهائمه وانتقل الى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه . لأن مالهما كان أكثر من أن يقيما معاً فى أرض غربتهما . وقد أقام عيسو بجبل سعير . وهو أدوم وأبو الأدوميين . وهناك نمت ذريته وكثرت . وقد ولد لأليفاز تيمان وأومار وصفو وجعثام وقناز . وولد لرعوئيل نحت وزارح وشمة ومزة . ثم يقول الاصحاح وهؤلاء زعماء بنى عيسو : بنو أليفاز بكر عيسو الزعيم تيمان والزعيم أومار والزعيم صفو والزعيم قناز والزعيم قورح والزعيم جعثام والزعيم عماليق . وهذا الأخير هو ابن لأليفاز من سرية اسمها تمناع . ثم بنو رعوئيل الزعيم نحت والزعيم زارح والزعيم شمة والزعيم مزة . ثم بنو أهليبامة زوجة عيسو الزعيم يعوش والزعيم يعلام والزعيم قورح . وفى آخر الاصحاح ذكروا مرة ثانية ببعض زيادة ونقص هكذا : هذه أسماء زعماء عيسو بقبائلهم ومواضعهم بأسمائهم : الزعيم تمناع والزعيم علوة والزعيم يتيت . والزعيم أهليبامة والزعيم أيلة والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم مجدئيل والزعيم عيرام .

وعبارة الاصحاح على تداخلها وركاكتها قد تفيد أن هذه الأسماء أسماء القبائل التى تفرعت عن أولاد عيسو وظلت تتسمى بأسمائهم وصار لكل منها زعامة تتسمى بأسمائها وأن هذه القبائل

والزعامات كانت قائمة فى ظروف طروء بنى اسرائيل على شرق الأردن وتخوم أدوم أو سير امتدادا لما قبل •

وليس هناك ما يمنع صحة ذلك كما أنه ليس هناك ما يمنع القول انه أريد بذكر ما ذكر ربط ما كان واقعا موجودا من أسماء ومسميات حين التدوين بالماضى البعيد بقطع النظر عن صحته وعدم صحته •

والمرجح أن ذرية عيسو فى سعير لم تبق خالصة برغم أنها ظلت تحمل أسماء أبناء عيسو الأولين وأنها اختلطت بمن كان فى الأرض قبل قدومهم من الأرومات العربية الجنس وخاصة بالحوريين الذين ذكروا فى مناسبة سابقة باسم بنى سعير وسكان جبل سعير كما جرى الأمر على ما رجحناه وشرحناه قبل بالنسبة للمؤابيين والعمونيين •

ولقد استطرد الاصحاح الى ذكر قبائل وزعماء بنى سعير الحورى على النحو الذى أوردناه فى الاستطراد البيانى لمن ورد أسماؤهم فى الاصحاح الرابع عشر من أقوام ومدن بمناسبة غزوة كدرلاعومر بعبارة تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت قائمة موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على شرق الاردن بعد خروجهم من مصر • ثم استطرد كذلك الى ذكر الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل قيام ملك لبنى اسرائيل والذين ذكرناهم كذلك فى ذلك الاستطراد البيانى • وليس فى العبارة ما يوضح

هواياتهم . فمن المحتمل ان يكونوا من الحوريين كما أن من المحتمل أن يكونوا من ذرية عيسو . والغالب ان التسجيل تم استنادا الى الروايات المتداولة حينما طرأ بنو اسرائيل على شرق الأردن .

- ٨ -

وفى الاصحاح السابع والثلاثين خبر سكنى يعقوب فى غربة أبيه فى أرض كنعان ثم اخبار يوسف أباه بريبة شنيعة شهدها من اخوته بنى بلهة وبنى زلفة بينما كان يرعى الغنم معهم دون ايضاح لهذه الريبة الشنيعة ، ثم تطرق الى تسجيل حب يعقوب ليوسف اكثر من سائر بنيه وصنعه قميصا موشى له وبغض اخوة يوسف لأخيهم حتى لم يكونوا يسلمون عليه ، ثم ذكر قصة حلم يوسف ورؤياه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة له ، مما زاد فى حسدهم وبغضهم له وجعلهم يتآمرون على قتله ثم يلقونه فى بئر فارغة لا ماء فيها ونزعهم عنه قميصه الموشى ، وبيعهم اياه ـ لقافلة من الاسماعيليين مقبلة من جلعاد وسائرة الى مصر ـ بعشرين من الفضة ، وذبحهم تيسا وغمسهم القميص بالدم وقولهم لأبيهم انا وجدنا هذا القميص بهذا الشكل وقول يعقوب انه

قميص يوسف وان وحشا ضاريا افترسه ، وتمزيقه ثيابه ونوحه على ابنه دون ان يتعزى ، وبيع الاسماعيليين يوسف فى مصر لفوطيفار رئيس شرط فرعون .

وليس ما يمنع ان تكون القصة صحيحة ، ومهما كان من أمرها ففيها يسجل بنو اسرائيل الذين اثبتوها فى مدوناتهم صورة جديدة من صور الانانية القاسية من اخوة لأخيهم بعد ما سجلوا مثل هذه الصورة من يعقوب لأخيه عيسو بصورة جديدة من من صور الانانية من اخوة لاخيهم بدافع الحسد والغيرة مهما كان فيها من قسوة وأذى وخديعة ..

وفى الاصحاحات التاسع والثلاثين الى الخمسين وهو آخر اصحاحات سفر التكوين قصة يوسف فى مصر وشغف امرأة فوطيفار به ، وسجنه وتعبيره لرؤيا خادمى الملك فى السجن ، ثم قصة حلم الملك وتعبير يوسف له ونيله الحظوة لديه وتسليمه خاتمه وجعله قيما على جميع أرض مصر ، وخزنه الغلال والطعام لمواجهة سنى القحط التى تنبأ بها من حلم الملك ، واشتداد الجوع فى الأرض وارسال يعقوب بنيه للامتيار ، وتظاهر يوسف بالارتياب فيهم وطلبه احضار أخ لهم لم يحضر معهم — وهو بنيامين أخى يوسف من أمه — ليكون رهينة لديه ، واحتجازه حينما حضر بحجة سرقة جام فضية ، ثم تعريف يوسف بنفسه لاخوته وطلبه منهم قدومهم هم وأبوه وأبناؤهم وجميع أهلهم

واستحسان فرعون ذلك وأمره باعطائهم الدواب والعجلات والطعام والثياب والفضة ، وارتحال اسرائيل بجميع ماله واهله وتجلى الرب فى الطريق مشجعا اياه على الذهاب الى مصر ومكررا وعوده فى جعله أمة عظيمة وهبوطه معه الى مصر ونزولهم فى أرض جاسان التى خصصت لهم بأمر فرعون وتملكهم فيها ونموهم وتكاثرهم ، ووفاة يعقوب ووصيته ليوسف بنقل جثمانه ودفنه فى مقبرة آبائه ، ووعد يوسف بذلك وتحنيطه جثته بعد الوفاة وصعود يوسف باذن الملك مع جميع اخوته فى موكب عظيم جدا الى أرض كنعان ودفن يعقوب فى مغارة المكفيلة ، ثم وفاة يوسف ووصيته لأهله باصعاد عظامه معهم حينما يصعدون عائدين الى الأرض التى أقسم الرب عليها لابراهيم واسحق ويعقوب .

وقد احتوى الاصحاح السادس والاربعون أسماء وأعداد الذين صعدوا مع يعقوب من أبنائه وأحفاده . وقد بلغ عددهم ستا وستين نفسا من صلبه سوى نسوة بنيه ، وعدا يوسف وابنيه اللذين ولدا له فى مصر .

وقد احتوى الاصحاح التاسع والأربعون قصة جمع يعقوب لبنيه قبيل وفاته ووصف كلا منهم وصفا فيه كثير من الغرابة . فقال عن راؤبين أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى فاضل فى

العز فرات كالماء لا تفضلَ لأنك علوت مضجع أبيك ودنسته (١)• وقال عن شمعون ولاوى هما أخوان سيوفهما آلات جور • مجلسهما لا تدخله نفسي وفى مجمعهما لا تتحد ذاتى لأنهما فى سخطهما قتلا انسانا وفى رضاهما عرقبا ثورا • ملعون سخطهما فانه شديد • وغضبهما فانه قاس • أقسمهما فى يعقوب وأبددهما فى اسرائيل • وقال عن يهوذا اياك يحمد اخوتك • يدك على قذل أعدائك • يسجد لك بنو أبيك • يهوذا شبل أسد من فريسة صعدت يا بنى ، جثم وربض كأسد وكلبؤة فمن ذا يقيمه • لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتى شيلو وتطيعه الشعوب • رابط بالجفنة جحشه وبأفضل كرمة ابن أتانه • غسل بالخمر لباسه وبدم العنب رداءه • عيناه اشد سوادا من الخمر وأسنانه أشد بياضا من اللبن • زبولون فى سواحل البحر يسكن وعند مرفأ السفن • وطرف تخمه الى صيدون • يساكر حمار ضخم رابض بين التخمين• وقد رأى الراحة ما أجودها والأرض ما أنزهها فأحنى كتفه للحمل وصار للمهنة عبدا • وأن يحكم لقومه كأحد أسباط اسرائيل • يكون ثعبانا على الطريق وأفعوانا على السبيل يلسع رسغ الفرس فيسقط الراكب الى الوراء • جار يقحمه الغزاة وهو يقحم ساقتهم • أشير طعامه

---

(١) اشارة الى ما ذكرناه قبل من مضاجعته لسرية أبيه بلهة •

دسم وهو يعطى ملذات الملوك • نفتالى أيلة سائمة ــ وعــلى ــ يردد أقوال الحسنى • يوسف غصن مفرع على عين له فروع قد امتدت على سور • فأمرته أصحاب السهام ورمته واضطهدتــه ولكن ثبتت قوسه بمتانة وتشددت سواعد يديه من يدى عزيز يعقوب • من هناك الراعى صخر اسرائيل • من اله أبيك الذى يعينك ومن القدير الذى يباركك • تأتى بركة السماء من العلــو وبركات الغمر الراكد بركات الثديين والرحم • بركات أبيــك تضاف الى بركات آبائى الى منية الآكام الدهرية • لتــكن على رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته • بنيامين ذئب يفتــرس • بالغداة يأكل غنيمة وبالعشى يقسم السلب » •

ولا شك فى أن هذا السياق الطويل الذى استغرق اثنــى عشر اصحاحا قد اختلط بكثير من الخيال وتأثر فى الوقت نفسه بواقع ما كان من سيرة بنى اسرائيل بعد خروجهــم من مصر • ووصف يهوذا خاصة الذى كان له الملك والســـلطان فى غرب الأردن واستمر سلطانه الى أوائل القرن السادس قبل الميلاد مما يقوم قرينة على ذلك • غير أن هذا لا يمنع أن يكون فى بعــض ما احتواه شيء من الحقيقة وخاصة فى أمر نزوح يعقوب وأولاده الى مصر ونموهم وتكاثرهم فيها • وفى أوراق البردى المصرية المحفوظة فى متحف لايد والتى ذكر فيها اسم عبريو ــ وقــد أوردنا ترجمتها قبل ــ دليل على ذلك •

ويخمن تاريخ نزوح يعقوب وأولاده الى مصر بحوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ويظن أنه كان عهد حكم الهكسوس (١) الذين هم من الأرومات العربية الجنس والذين يحتمل أن يكونوا كنعانيين أو آراميين أو أموريين وبالتالى ممن يمت اليهم العبرانيون جنسيا ولغويا .

(١) العقد الثمين ص ٧٥-٧٦ والكافى ج ١ ص [illegible] .

خروج بنى اسرائيل من مصر

الى حلولهم فى شرق الأردن

- ١ -

ان سيرة بنى اسرائيل بعد يوسف فى مصر وخروجهم منها الى حلولهم فى شرق الاردن مذكورة بأساليب متنوعة فى أسفار الخروج والعدد وتثنية الاشتراع من الأسفار الخمسة الاولى • والسفر الرابع وهو سفر الأحبار الذى هو تشريعى فى الدرجة الأولى متصل كذلك بهذه الحقبة •

ولقد ذكر الاصحاح الاول من سفر الخروج ما كان من نمو بنى اسرائيل وتكاثرهم وامتلاء الأرض منهم وخشية ملك مصر من عواقب ذلك واضطهاده لهم وتسخيره اياهم فى بناء مدن فيتوم ورعمسيس وتشغيلهم بالطين واللبن والأعمال الشاقة الأخرى ؛ وأمره لقابلتى العبرانيات بقتل كل ذكر يولد لهم مما يتطابق بعضه مع ما قرىء على أوراق البردى التى أشرنا اليها قبل قليل •

والراجح أن حالة بنى اسرائيل تبدلت بعد تقويض حكم الهكسوس فى القرن السادس عشر وقيام الامبراطورية المصرية •

ويستدل من أوراق البردى المذكورة أن تسخيرهم واضطهادهم قد بلغ الذروة فى عهد رمسيس الثانى أعظم ملوك الأسرةالتاسعة عشرة التى حكمت حسب تقدير بريستيد (١) من سنة ١٤٦٢ الى ١٢٨٨ ق٠م وحسب تقدير شارويبم (٢) من سنة ١٤٦٢ الى سنة ١٢٨٨ ق٠م ٠

وهناك قرائن قد تدل على أنه كان لبنى اسرائيل اثر مـا فى الانقلاب الدينى الذى قام به أمونحتب الرابع او أخناتون أحد ملوك الامبراطورية أو الأسرة الثامنـة عشرة (١٥٨٠ ــ ١٣٥٠ ق٠م (٣)) او (١٧٠٣ــ١٤٦٢ ق٠م) (٤) فقد هدف أخناتون فى انقلابه الى عبادة ما وراء الشمس وتقرير الوحدة الالهيـة ٠ وسمى معبوده آتون الذى يظن أنه مقتبس من اسـم أدون او أدوناى العبرانى الذى كان العبرانيون يسمون به الرب ٠ ويقول أحمد كمال (٥) الذى ذكر هذا : ان من المحتمل أن يكون انقلاب أخناتون متأثرا بأمه تايى التى هى من أهل الشمال مما يحتمل أن تكون عبرانية ٠

وفى الاصحاحات الثانى الى الثانى عشر من السفر نفسه

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور ص ٤٠٦ ٠
(٢) الكافى ج ١ ٠
(٣) تاريخ مصر من أقدم العصور بريستيد ص ٤٠٦ ٠
(٤) الكافى لشارويبم ج ١ ٠
(٥) العقد الثمين لاحمد كمال ص ٩١–٩٣ ٠

قصة موسى منذ ولادته الى خروج بنى اسرائيل من مصر بقيادته.
والسياق طويل لا ضرورة لسرده نصا .

وقد احتوى خبر ولادة موسى والقائه باليم خوفا من قتلـه
والتقاطه من قبل بنت فرعون وتربيته فى بيت الملك وقتله مصريا
اعتدى على عبرانى وفراره الى مدين واستقائه غنم بنات كاهنها
وزواجه من صفورة احدى البنات واقامته فى مدين الى أن هلك
الملك الذى وقع حادث قتل المصرى فى عهده ، وتجلى الله له فى
جبل حوريب وقوله له : انه نظر الى مذلة شعبه ونزل الى انقاذهم
واخراجهم الى الأرض الطيبة التى تدر لبنا وعسلا ، وهى أرض
الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين،
وأمره بالذهاب الى مصر وطلب اطلاق الشعب من فرعـــون
وانقلاب العصا فى يده الى حية وابيضاض يده كمعجزة ربانية
لتأييد رسالته ، وتعزيزه بهارون لفصاحة لسانه بسبب ما أبداه
من تخوف ، وعودته الى مصر ولقائه بهارون وشـــيوخ بنى
اسرائيل واخبارهم بما رآه وسمعه وانتشار ذلك وتأثيره على
عمال بنى اسرائيل الذين كانوا مسخرين فى أعمال الطين والبناء
ومقابلة هارون وموسى لفرعون وما كان من أخذ ورد معه وما
أظهره الله من معجزات العصا ومزعجات الدم والضفادع والبعوض
والذباب والوباء والظلام . وكان فرعون كلما ظهرت معجـزة
او مزعجة وأخفق السحرة فى التغلب عليها طلب الشفاعة مـــن

موسى وبذل الوعد بالاطلاق فاذا ما انكشفت عاد وقسا قلبه الى أن كملت اثنتى عشرة معجزة واضطر فرعون الى البر بوعده فى النهاية • وحينئذ أمر الرب الشعب باستعارة أمتعة وفضة وذهب من جيرانهم لينصرفوا بها وتكون لهم غنيمة وسلبا •

وفى الاصحاحين الثالث عشر والرابع عشر تكملة للسياق جاء فيها أن الرب تحسب من ندم الشعب من الخروج ومن ندم فرعون من الاطلاق فأمر موسى بتغيير خطة السير بعد أن حلوا فى مدينة رعمسيس ليثيروا ملك مصر وأهلها فيلحقوا بهم فيغرقوا وقد تم ذلك وشق الرب البحر فعبره بنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده فارتد عليهم وابتلعهم •

ولا شك فى أن السياق الطويل قد اختلط بكثير من الخيال والغلو وتأثر بسيرة بنى اسرائيل بعد خروجهم وطروئهم على أرض كنعان ؛ ولكن هذا لا يمنع من أن يكون فيه حقائق تاريخية مما كان بين فرعون وموسى وبنى اسرائيل ومن خروج بنى اسرائيل فى النهاية من مصر بقيادة موسى •

ويلفت النظر خاصة الى خبر سلب رجال ونساء بنى اسرائيل أمتعة جيرانهم الذهبية والفضية بحالة الاستعارة ونسبة ذلك الى الله تعالى وتنزه • ومهما كان من أمر فان تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم فى نفوس بنى اسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها

بأية وسيلة ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس كما أنــه كان ذا أثر شديد بدون ريب فى رسوخ هذا الخلق العجيـــب فى ذراريهم ثم من دخل فى دينهم من غير جنسهم •

ويخمن الباحثون ان بنى اسرائيل خرجـــوا من مصر فى القرن الثالث • وهذا التخمين يتسق مع سير أحداثهم وأحداث مصر ايضا ولا سيما اذا حدد بأواخر هذا القرن • فالمستفاد من تاريخ مصر أن حالة الدولة بعد رمسيس الثانى ـ الذى سجلت فى عهده أوراق البردى التى تشير الى تسخير العبرانيـــين فى أعمال بناء مشاريعه والذى كان نفوذ مصر فى عهده شـــاملا الأنحاء الجنوبية من بلاد الشام ومن جملتها شرق الأردن وغربه نتيجة لما كان بينه وبين الحيثيين من اتفاقية ـ قد ارتكبـــت بسبب ما كان من تنافس بين خلفائه على العرش وأن هـــذا الارتباك اوهن قواها ومنح الفرصة للوبيين وسكان الأرخبيل اليونانى لازعاج مصر بغاراتهم ولبلاد أثيوبيا والشام التى كانت تحت نفوذهم وسيادتهم للتمرد ثم أودى بالأسرة المالكة نفسها فى أول القرن الثانى عشر حيث انتزعت الحكم منها أسرة جديدة هى الأسرة العشرون التى حكمت من سنة ١٢٠٠ الى ســـنة ١٠٩٠ ق٠م (١) •

---

(١) أنظر تاريخ مصر من أقدم العصور بريستيد ص ٢٦٧ وما بعدها والعقلية الشعبية ص ٩٧ـ١٢٧ ٠

فالمتبادر أن هذا الارتبـــاك الذى ألم بمصر قد يسر لبنى اسرائيل الخروج من مصر أولا والحركة بشىء مـــن الحرية فى شرق الأردن وغربه ثانيا • ولا سيما أن الارتباك لم يلبث أن ألم بالدولة فى عهد الأسرة العشرين أيضا حيث تعاظم ســلطان الكهان وأخذوا يتدخلون فى شــــئون الدولة • وحيث قامت الثورات فى أنحاء عديدة من الامبراطورية • وحيث أخـــذ اللوبيون وغيرهم يجددون غاراتهم على مصر (١) •

ويتراوح التخمين بين أن يكون خروجهم فى عهد منفتـــاح الأول أو الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشرة • ولقـــد كان الارتباك والضعف أشد فى عهد الثانى حيث يسوغ ترجيــــح الخروج فى عهده وهو ما ذكره بعض المؤرخين (٢) •

ولقد جاء فى الجزء الأول من الكافى لشاروبيم (٣) أن بنى اسرائيل قد خرجوا من مصر فى عهد منفتاح الثانى فى ظـروف ارتباك الدولة المصرية وأن يوسيفوس اليهودى نقل ذلك عـــن مانيثون ، وأن منفتاح الثانى سأل أحد المكاشــــفين أن تتجلى له المعبودات فقال له : لن يكون له ذلك حتى يطهر بلاده مـــن

(١) العقد الثمين ص ١٢٥–١٤٩ وكتاب بريستيد المذكور آنفا ص ٣٢١ وما بعدها •

(٢) العقد الثمين ص ١١٧–١٢٢ وبريستيد ص ٤٦٧ وما بعدهـــا والكافى لشاروبيم ج ١ ص ٨١ وما بعدها •

(٣) ص ٩٠–٩٨ •

أصحاب الدناسة وكان يعنى الاسرائيليين ، فجمعهم فى مدينـة وشدد عليهم الخناق والعذاب وفى هذه الاثناء ظهـــر موسى وانتهى الأمر بخروجهم تحت قيادته ، ومما جاء فيه كذلك أن الاسرائيليين ثاروا ثورة عاتية فزحف عليهم منفتاح وقتل منهـم مقتلة كبرى ففروا فطاردهم الى أن خرجوا من مصر • والمؤلف يعتمد فيما يورده على المدونات اليونانية القديمة التى تعتمـد بدورهـــا على مانيثون المؤرخ المصرى الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد وكتب تاريخا شاملا للملوك مصر وسيرتهم •

ولقد قرئت على عمارة فى طيبة أنشأها منفتاح الأول أنشودة ذكر فيها تنكيله ببنى اسرائيل فى جملة ما نكل بهم من سـكان فلسطين بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصرى • ولقد قال بريستيد (١) انه لما زاد الضغط على بنى اسرائيل فى الاعـمال البنائية التى كانوا مسخرين لها فى عهد رمسيس الثانى هربت احدى قبائلهم تخلصا من العذاب ، وهذا ما قد يسوغ القـول ان بنى اسرائيل خرجوا من مصر على دفعتين ، دفعـة صغرى فى عهد رمسيس الثانى أو ابنه ودفعة كبرى فى عهد منفتاح الاول أو الثانى ـ والثانى هو المرجح كما ذكرنا قبل ـ وهـى التى

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٠٠-٣١٤ .

خرجت بقيادة موسى والمتبادر أن الدفعة الأولى دخلت الى فلسطين وعاشت مع سكانها الأولين سلميا كما فعلت أسرة ابراهيم •

والأنشودة المار ذكرها دليل أثرى وقطعى على تسمية بنى اسرائيل باسمهم ، هذا قبل تدوين سفر التكوين الذى يذكر أن يعقرب سمى باسرائيل فكان ذلك أصل تسمية ذريته ببنى اسرائيل •

هذا ، وهناك من ينكر خبر نزوح يعقوب وأبنائه الى مصر وبالتبعية خبر خروج بنى اسرائيل منها • غير أن أوراق البردى المحفوظة فى متحف لايد والتى يتطابق فحواها مع ما جاء فى الاصحاح الأول من سفر الخروج حيث ذكر هذا وتلك : تسخير بنى اسرائيل فى أعمال البناء والطين ، وتؤيد بالتالى وجود بنى اسرائيل ــ العبريو ــ فى مصر فى عهد رمسيس الثانى كما يؤيده ويؤيد خروجهم من مصر واقع طروئهم على شرق الأردن وغربه من ناحية حدود مصر واقعا متسلسل الأحداث والذكر مما لا سبيل الى المراء فيه فيما نرى •

ولقد ذكر الاصحاح الأول من سفر العدد أن موسى أحصى بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر فبلغ عدد الذكور الذين هم فى سن العشرين فما فوق (٦٠٣٥٠٠) عدا اللاويين الذين بلغ عدد ذكورهم (٢٢٠٠٠) وهذا يعنى أن عدد بنى اسرائيل حين

خروجهم بقيادة موسى كان نحو مليون ونصف . وهذا كما هو المتبادر من المبالغات التى اختلط فيها الخيـال مـع الروايات والذكريات . ويلحظ أن اللاويين ذكروا لحدتهم . وفى الاصحاح نفسه تفسير لذلك حيث ذكر أن الرب أمر موسى بعدم عدهم فى جملة بنى اسرائيل ، وبجعلهم موكلين بمسكن الشهادة ــ خيمة المعبد ــ وأمتعته وكل متعلقاته فيحملونه فى الترحال وينصبونه فى الحل ويخدمونه وينزلون حوله ويحرسونه وكل أجنبى تقدم يقتل . وموسى وهارون من بنى لاوى . وهكذا تكون مهمة الكهنوت والخدمة الدينية قد حصرت فى سبطهما . ولم يجعل للاويين نصيب فى توزيع الأرض المفتوحة لانشغالهم بالخدمة الدينية ولكن جعل لهم موارد دينية متنوعة على ما تفيده نبذ عديدة فى أسفار العدد وتثنية الاشتراع .

- ٢ -

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاحات الخامس عشر الى الحادى والثلاثين من سفر الخروج سجلت مراحل بنى اسرائيل الى برية سيناء وما جرى لهم فيها . وقد ارتحلوا من بحر القلزم الى برية شور ثم الى ايليم التى كان فيها اثنتا عشرة عين

ماء ثم الى برية سين ثم الى رفيديم ثم الى برية سيناء حيث أقاموا ردحا من الزمن •

وقد حكى الاصحاح السادس عشر تذمر بنى اسرائيل على موسى وهارون وقولهم لهما : ليتنا متنا فى مصر حيث كنا نشبع من الطعام وسؤالهم لهما عما اذا كانا قد أتوا بهم الى هذه البرية ليقتلوهم من الجوع ـ وأمثال هذا الموقف التذمرى كثيرة فى ابان رحلتهم من مصر الى شرق الاردن حيث يدل ذلـك على ضعف مقاومتهم وروحهم التعجيزية وانزال المن والسلوى طعاما لهم ، وقد وصف الأول بانه ندى سماوى أبيض يتجمد ويعدو مثل بذر الكزبرة وطعمه كقطائف بعسل والثانى بانه طير فكان هذا طعامهم اربعين سنة الى أن وافوا حـدود أرض كنعان • وحكى الاصحاح السابع عشر خبر مجىء العمالقة لمحاربتهم فى رفيديم وهزيمة هؤلاء بمعجزة ربانية ، وكان هـذا أول بادرة عدائية واجهها بنو اسرائيل من سكان البلاد ثم تكررت مـن مختلف الأرومات فى مختلف الظروف وبـدون أى شـذوذ حيث يدل ذلك على أن أهل البلاد جميعا توجسوا الشر والخطر من قدوم بنى اسرائيل ، مما له مغزى بعيد عجيب • وقد أثبتت الوقائع صدق حدسهم لأن سيرتهم مع أهل البلاد كانت أسـوأ سيرة غدرا وعدوانا وشرها وقسوة وأنانية حتى الذين سالموهم لم يسلموا من شرهم •• وحكى الاصحاح الثامن عشر قـدوم

يثرو كاهن مدين وحمى موسى وتهنئة موسى بما صنع الله لـه وتمجيده حيث يدل هذا على أن الكاهن من الموحدين وهو فى تقاليد المسلمين نبى الله شعيب ، وقد أسدى الى موسى النصح باختياره رؤساء للشعب لينظروا فى القضايا الثانوية ويبقى هـو المرجع الأعلى فاتبع موسى نصيحته .

وذكرت الاصحاحات التاسع عشر الى الحادى والثلاثين تجليات الرب لموسى فى جبل سيناء وما القى اليه من وصايـا وتشريعات دنية وتعبدية وخلقية ومدنية . من جملتها التوحيد المطلق وعبادة الله وحده والحظر البات لعبادة أى شىء غيره بأى شكل وعدم السجود لأى صورة مصورة أو منحوتة ، وعـدم الحلف بالله باطلا وتحريم العمل فى السـبت على الاسرائيلى وعبده وأمته وبهيمته ونزيله ، وتكريم الوالدين ، والنهى عـن القتل والسرقة والزنا وشهادة الزور على القريب واشتهاء بيت القريب وامرأته وعبده وأمته وثوره وحماره وعدم صنع أصنام أو مذابح من فضة وذهب والاكتفاء بمذابح ترابيـة وحجرية ، وايجاب عتق أى عبد عبرانى بعد ست سنين من خدمته مع زوجته وأولاده ان كان له زوجة أو أولاد الا اذا فضل البقاء عبـدا ، والرفق بالنساء والعدل بين الزوجات وعدم ظلم الغرباء والأرامل والايتام ، وعدم أخذ الربا من العبرانى ورد الرهون لأصحابها وعدم تحريف الشهادة وكتمها وعدم التآمر مع المنافقين وعـدم

الاجحاف فى القضاء ضد المساكين ورد كل ضال من البهائم لصاحبه ولو كان عدوا وعدم أخذ الرشوة ومضايقة الغرباء وقتل القاتل وقتل ضارب والديه ولاعنهما وقتل من يخطف أحدا أو يبيعه وقصاص العين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل والكى بالكى والجرح بالجرح والرض بالرض وقتل من يذبح لآلهة أخرى أو يأتى بهيمة واسترداد المسروق من السارق بزيادة وهدر دم السارق اذا قتله صاحب المال الخ مما فيه كثير من مكارم الاخلاق الرفيعة والأنظمة التى تحمى المجتمع وتحفظ أمنه وتوطد التضامن والبر والاحسان فيه والتى ناقضتها معظم بنى اسرائيل وظلوا يناقضونها فى معظم حقب تاريخهم ، وتأثر بسيرتهم فى ذلك من اعتنق دياناتهم من غير جنسهم . ويتبادر لنا أن قيد القريب فى بعض المنهيات متأثر بما كان من مواقفهم وأعمالهم مع غيرهم فيما بعد .

ولقد استغرق تعريف الطقوس والثياب الطقسية الكهنوتية والذبائح الطقسية وخيمة العبادة ورسومها وترتيبها سبعة اصحاحات طويلة من الخامس والعشرين الى الحادى والثلاثين وجاءت مسهبة اسهابا عجيبا فيه كثير من الجزئيات مما نرجح انه متأثر بما كانت عليه طقوس ومعابد ورسوم مصر الدينية أو بما تطورت اليه الطقوس فى بنى اسرائيل فيما بعد .

وحكى الاصحاح الثانى والثلاثون تذمر بنى اسرائيل من

ابطاء موسى فى النزول من الجبل مرة من المرات وطلبهم من هارون صنع آلهة لهم تسير أمامهم ، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه من شنوف الذهب التى فى آذان النساء والاولاد عجلا وبنائه أمامه مذبحا وتقريبه القرابين له .. وهكذا لم يكد يجف حبر وصايا الرب حتى بادر بنو اسرائيل الى نقضها مما كان ديدنا لهم فى جميع تاريخهم . وأخبر الرب موسى بحيدان قومه عن الطريق التى أمرهم بسلوكها وسجودهم للعجل المسبوك ، وقال له انهم شعب قساة الرقاب فدعنى أغضب عليهم وأفنيهم . فتضرع موسى وطلب العفو فاستجاب الرب لضراعته — وهذا مما يمت الى فكرة الاختصاص الربانى لبنى اسرائيل التى نبهنا عليها قبل والتى كانت تدفعهم الى الانحرافات المرة بعد المرة — ورجع موسى ومعه لوحان منقوشان بمعجزة ربانية فيهما الوصايا . ولما وصل ورأى العجل والناس يغنون ويرقصون حوله اتقد غضبه وألقى اللوحين فانكسرا ثم أحرق العجل وذراه وهتف من كان للرب فليقبل الى فاجتمع اليه جميع بنى لاوى فأمرهم بلسان الرب أن يتقلد كل واحد سيفه وأن يقتل أخاه فنفذوا أمره وسقط من الشعب ثلاثة آلاف قتيل ، ثم صعد الى الجبل فناجى ربه معتذرا مستغفرا .

وحكى الاصحاح الرابع والثلاثون إن الرب قال لموسى انحت لوحى حجرين كالاولين فاكتب عليهما الكلام الذي كان على

اللوحين اللذين كسرتهما واصعد الى جبل سيناء ففعل وهناك ناجى ربه الذى هبط فى الغمام واستغفره واستعطفه على الشعب فقبل الرب منه وقال له : انه بات معه عهدا ومؤيده بمعجزات عظيمة ، وانه طارد من بين يديه الأموريين والكنعانيين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، وحذره من ضرب أى عهد لأهل الأرض التى هو صائر اليها لئلا يكونوا فخا بين بنى اسرائيل ، ولئلا يفجروا فى اتباع آلهتهم ويذبحوا لها ويأكلوا من ذبائحهم ويأخذوا بناتهم لبنيهم فتفجر بناتهم فى اتباع آلهتهم ويجعلن ابناءهم يفجروا كذلك ، مما هو مشوب بالخيال ومتأثر بروح الاختصاص وعقدته من جهة وبالوقائع التى وقعت مؤخرا فى أرض كنعان بعد موسى من جهة أخرى على ما هو المتبادر • وقد احتوى هذا الاصحاح والاصحاحات التالية له الى آخر الاصحاح الأربعين الذى هو آخر اصحاحات السفر وصايا وتعليمات متنوعة بحفظ أيام الفطير وتخصيص كل بكر ذكر من المواشى للرب وباحترام السبت وبشئون طقسية أخرى وهذه استغرقت الاصحاحات الستة التالية واحتوت تفصيلات جزئية كثيرة وعجيبة فى صنع تابوت العهد ـ الصندوق الذى كانت تحفظ فيه الألواح والذخائر الدينية ، وخيمة العبادة التى تسميها الأسفار أحيانا بخباء المحضرورسومها وأوانيها وأدواتها وتزييناتها وستاراتها وأعمدتها والثياب

الكهنوتية لهارون وبنيه ورسومهم وحدودهم مما هو متأثر ــ فيما يتبادر ــ بما كانت عليه الطقوس فى مصر أو بمـا تطورت اليه الطقوس فى بنى اسرائيل ، واحتوت كذلك تفصيلا للجهد والمال والذهب والحرير المبذول فى صنع ذلك واتمامه على النحـو المأمور به ..

- ٣ -

ويأتى بعد سفر الخروج سفر اللاويين أو الأحبار والاسـم الأول للنسخة البروتستانتية . وهو سبعة وعشرون اصحاحا فى تسع وأربعين صفحة . وهو سفر وصايا وتشريعات طقسـية ومدنية واجتماعية وخلقية . وفى أول كل اصحاح تقريبا ذكرت عبارة تفيد أن الرب كلم موسى وأمره بابلاغ مـا فى الاصحاح لبنى اسرائيل .

ولقد احتوى السفر تشريعات ووصايا وتفصيلات كثيرة عن كفارات الذنوب والأخطاء والطقوس والثياب والأطعمة المحرمة والأنكحة المحرمة والاعياد والنذور والطهارة والنجاسة والبرص والسيلان حتى لكأن السفر مخصص لهـذه الشئون لانهـا استغرقت معظم اصحاحاته .

وقد أوجب على من يخطىء سهوا فى حق الله ووصاياه أن يأتى الى الكاهن معترفا ومقدما ذبيحة كفارة عن خطئه. وأوجب مثل ذلك على كل من حلف كاذبا أو مس نجاسة او جحد وديعة أو غصب شيئا أو وجد ضالة وجحدها مع رد ما أخذه .

وقد حرم أكل شحم البقر والضأن والمعز والميتة والدم وذوات الاظفار غير المشقوقة من المجترات كالجمل والارنب والخنزير وما ليس له زعانف وفلوس من حيوانات الانهار والبحار والطيور الجارحة والحشرات والجراد والفأر والضب والحرباء .

وقد قضى بنجاسة كل من مس ميتة أو كل من به سيلان أو برص أو مسهما أو جلس مجلسهما أو مس أمتعتهما وأوجب عليه الاغتسال كما أوجب ذلك من الجماع فى نفس اليوم .

وحرم نكاح الأم والأخت والبنت وبنت الابن وبنت البنت وبنت الزوجة وبنت زوجة الأب والخالة والكنة وزوجة الأخ واخت الزوجة ووطء الذكر والبهيمة ومضاجعة الطامث

وفيه نهى متكرر عن عبادة الاصنام وصنعها والشرك بالله والتجديف عليه والقتل والسرقة والزنا وشهادة الزور والرشوة والاجحاف والظلم والغصب وأخذ الربا من الاسرائيلى والبغاء والتحايل والجور بالفقراء والضعفاء والغرباء وظلمهم ومحاباة الأقوياء والعظماء والنميمة والبغض والحقد والتطير والتفاؤل

وحلق الرأس دائريا واحفاء العارض واتباع العرافـين وأصحاب التوابع ــ الذين يزعمون أن لهم تابعين من الجن على ما هـــو المتبادر ــ والحلف الكاذب وشتم الأصم ووضع العثرات فى طريق الأعمى وهضم أجرة الأجير وتأخيرها عليه والوفاء بالوزن والكيل والمقياس •

وأوجب قتل من يذبح للاصنام أو يقدم ابنه قربانا لمولك(١) ومن يميل الى أصحاب التوابع والعرافين ليفجر بذلك ومن يلعن أباه وأمه والزانى والزانية وواطىء البهيمة والمرأة التى تجعـــل البهيمة تنزو عليها وناكح المحرمات •

وأجاز السفر استرقاق الاسرائيلى لأخيه اذا رقت حاله وأراد أن يبيع نفسه على أن يعامله سيده برفق كاجير وعلى أن يكون له أو لقريبه حق فك رقبته وفى هذه الحالة تحسب أجرة السنين التى قضاها من الثمن • وأجاز كذلك استرقاق الدخيل والغريب مع حقه أو حق قريبه فى فكاكه كذلك •

وفى السفر تشريع سبت دورى كل سبع سنين وآخر كـــل خمسين سنة وهذا الأخير سمى يوبيلا • ففى كل سبع سنين تراح الأرض فلا تزرع • وفى كل خمسين سنة ينادى بعتق كل رقبة ، ورد كل ملك لمالكه ، وكل أرض لصاحبها وكل رقيق الى عشيرته حـــرا •

(١) مولك اله كنعانى كان يقرب له الابناء حرقا •

وفى الاصحاح التاسع عشر هذه العبارة « اذا نزل بكم غريب فى أرضكم فلا تهضموه . وليكن عندكم الغريب الدخيل فيما بينكم كالصريح منكم وكنفسك تحبه لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر » .

وفى الاصحاح العشرين ايجاب بقتل أى كان من بنى اسرائيل أو الغرباء الدخلاء فيهم يعطى من نسله «لمولك» ثم يستمر الاصحاح فى الأوامر والنواهى والعقوبات بصيغة مطلقة بحيث تبدو أنها شاملة للاسرائيليين والغرباء والدخلاء فيما بينهم ، هذا فى حين أنه ليس فى الأسفار شىء يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم الى ديانتهم ، وان كل ما فيها منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص تنزه وتعالى . فالظاهر انهم كانوا يتساهلون فيقبلون انتساب الغرباء والدخلاء الذين يعيشون بينهم الى ديانتهم ويشملونهم بأحكامها ورسومها ، وليس ذلك دعوة ولا تبشيرا ، بحيث يقال ان الديانة اليهودية ليست تبشيرية ولا انسانية عامة مع أن ما انطوى فيها من تعاليم ومبادىء وخاصة توحيد الله وعبادته وحده بأسلوب صارم يجعلها جديرة بأن تكون ديانة ورسالة انسانية عامة وخالدة .

والمتبادر أن هذا قد أتى من عقدتهم النفسية التى نبهنا عليها حيث جعلتهم شديدى الأنانية والعزلة والكراهية بالنسبة للامم

الأخرى وجعلتهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المقدس ويعتبرون جميع الشعوب دونهم وعبيدا لهم ويسجلون ذلك فى أسفارهم ، مما أثار ضدهم جميع الشعوب قديما وحديثا •

واذا كانت طوائف من أمم أخرى اعتنقت الديانة اليهودية مما هو ثابت يقينا فى ظروف سبيهم الى بابل وبعد عودتهم من السبى ثم بعد جلائهم عن فلسطين بعد الميلاد فالمتبادر أن ذلك كان بسبب ما صاروا اليه من حالة وهن وتشتت • ولعله كان من قبيل التساهل بقبول من أراد اعتناقها ممن كان مندمجا فيهم كدخلاء أو غرباء أو لأجل تقوية أنفسهم بهم •

ولقد احتوى الاصحاح السادس والعشرون من السفر ترغيبا وترهيبا شديدين لبنى اسرائيل فى حالة اتباعهم هذه الوصايا ومخالفتهم لها فقال لهم بلسان الرب : « ان جريتم على رسومى وحفظتم وصاياى وعملتم بها أتت غيوثكم فى أوانها وأخرجت الأرض غلالها وتأكلون طعامكم شبعا وتقيمون فى أرضكم آمنين وألقى السلام فى الأرض وأزيل الوحوش الضارية منها فلا يكون عليكم مزعج ولا يمر فى أرضكم سيف وتطلبون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ويطرد الخمسة منكم المائة والمائة الربوة وأنميكم وأكثركم وأثبت عهدى لكم وأجعل مسكنى فيما بينكم ولا أخذلكم وأكون لكم الها وتكونون لى شعبا • وان لم تسمعوا لى وتعملوا بجميع هذه الوصايا ونبذتم رسومى ونقضتم

عهدى فانى أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس وتزرعون باطلا فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهى ضــــدكم فتنهزمون من وجود أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم • ثـــم ان لم تطيعونى بعد هذا زدتكم تأديبا على خطاياكم سبعة أضعاف فأحطم شامخ عزكم وأجعل سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس وتفرغ قواكم عبثا ولا تخرج أرضكم اتاءها ولا تثمـــر شجركم وان جريتم معى بالخلاف ولم تشاءوا أن تسمعوا لى زدتـــكم سبعة أضعاف من الضربات على خطاياكم • وأطلقت عليكم وحش الصحراء فتثكلكم وتهلك بهائمكم وتوحش طرقـــكم • وان لم تتأدبوا بهذه وجريتم معى بالخلاف جريت أنا أيضـــا معـــكم بالخلاف وضربتكم سبعة أضعاف خطاياكم فأجلب عليكم ســيفا منتقما نقمة العهد فتتجمعون الى مدنكم وأبعث الوباء فيما بينكم وتسلمون الى أيدى العدو واذا قطعت عنكم قوام الخبز تختبز عشر نساء الخبز فى تنور واحد ويرددن خبزكم بالميزان وتأكلون ولا تشبعون • وان لم تخضعوا لى بذلك وجريتم معى بالخلاف جريت انا ايضا معكم بالخلاف ساخطا وادبتكم سبعة اضعاف على خطاياكم فتأكلون لحوم بنيكم وتقتاتون بلحم بناتـــكم وأدك مشارفكم وأحطم تماثيل شموسكم والقى جثثكم على جثـــث أوثانكم وتكرهكم نفسى • وأجعل مدنكم قفرا ومقادســـكم موحشة وأترك الأرض بلقعا فيذهل لها أعداؤكم الذين يسكنونها

وأبددكم فيما بين الأمم وأجرد وراءكم سيفا فتصير أرضـكم خرابا ومدنكم قفرا . حينئذ تستوفى الارض سبوتهـا طول أيام وحشتها وأنتم فى أرض أعدائكم . والباقون منكم ألقى الجبن فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم حتى يهزمهم صوت ورقة متحركـة فيهربون هربهم من السيف ويسقطون ولا طالب . ويعثر الواحد بأخيه كمن يهرب من أمام السيف ولا طالب . وتبادون بين الأمم وتأكلكم أرض أعدائكم . والباقون منكم ينقرضون بذنوبهـم فى أراضى أعدائهم وبذنوب آبائهم ايضـا يضمحلون . حتى يعترفوا باثمهم وباثم آبائهم فى خيانتهم التى خانـوا لى ، وفى سلوكهم معى بالخلاف فأسلك معهم أنا بالخلاف وأدخلهم أرض أعدائهم حتى تتذلل قلوبهم الغلف وحينئذ يكفون عن اثمهم فأذكر عهدى مع يعقوب واسحق وابراهيم وأذكر الأرض وقد أخليت منهم واستوفت سبوتها فى وحشتها وكفوا هم عن اثمهم . واذا كانوا حينئذ فى أرض أعدائهم لا أخذلهـم ولا أكرههم بحيث أفنيهم وأفسخ عهدى معهم لانى أنا الرب الههم بل أذكر لهم عهد الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر على عيـون الأمم لأكون لهم الها أنا الرب » .

ويلمح فى العبارات الأخيرة أثر ما نبهنا عليـه من مزاعـم الاختصاص التى أوجدت عقدة فى بنى اسرائيـل من حيث كون الاله هو الههم وكونهم هم شعبه وأنه يشفق عليهم وينقذهم مهما

أثموا وانحرفوا وطغوا وبغوا • كما يلمح فيها • وفى الاصحاحات الأخرى أثر ما كان من سيرة بنى اسرائيل وأحداثهم فى أرض كنعان وما كان من انحرافاتهم وما أصابهم من نكال وتشريد بسببها •

- ٤ -

يأتى بعد سفر الاحبار سفر العدد وهو ستة وثلاثون اصحاحا فى سبعين صفحة حسب الطبعة الكاثوليكية • وقد احتوى سيرة بنى اسرائيل فى برية سيناء وما بعدها استمرارا لسيرتهم التى قصتها اصحاحات سفر الخروج • وفيه كثير من التنظيمات والتشريعات الطقسية والكهنوتية والاجتماعية والمدنية• وفيه كثير من الغلو والخيال والمفارقات العجيبة التى امتزج فيها الخيال بالذكريات كما يلمح فى كثير مما احتواه أثر الوقائع التى تمت لبنى اسرائيل بعد طروئهم على شرق الاردن وغربه ، على أن الذى نرجحه ان محتوياته لا تخلو من حقيقة تاريخية أيضا •

وفى اصحاحه الاول احصاء لذكور بنى اسرائيل البالغين عشرين فما فوق وأسماء رؤساء أسباطهم • وقد بلغ عددهم ٦٠٣٥٠٠ عدا اللاويين ، وفى اصحاحه الثانى ترتيب لمنازلهم حسب

أسباطهم فى الحل والترحال وقد اعتبر جميع العــــدد المذكور محاربين وسمى رجال كل سبط بالجيش ، وفى اصحاحه الثالث والرابع احصاء الذكور اللاويين من ابن شهر فصاعدا واسـماء رؤساء عشائرهم وترتيب خدماتهم الدينية ومنازلهم حول الخبـاء وتخصيص الكهانة والتقديسات بهارون وبنيه • وقد بلغ عـدد الذكور من ابن شهر فصاعدا ٢٢٠٠٠ وعدد أبناء الثلاثين فمـا فوق ١٧١٨٥ ، وفى اصحاحه الخامس أمر بنفى كل أبرص وكل من به سيلان وكل متنجس بمس ميت الى خارج المحلة حتى لا يتنجس به بقية من فى المحلة ، وايجاب على أى مذنب رجلا كان أو امرأة أن يعترف بذنبه ويكفر عنه ويرد ما دخل فى يده من مال الآخرين بزيادة ، وفيه تشريع لخيانة الزوجة التى لا شهود عليها حيـث يأخذها زوجها الى الكاهن فيجرى بعض الطقوس ثم يحلفها يمين اللعنة فيقول لها ان لم يضاجعك رجل ولم تنحازى الى نجاسـة رجل غير بعلك فأنت بريئة من الماء المر الجالب للعنة والا فالرب يجعلك لعنة ويجعل وركك ساقطة وبطنك وارما ويكتب هــذا اليمين ويمحى الكتابة بماء مر ويسقيه لها ويقول الاصـحاح اذا كانت الزوجة آثمة فان الماء المر يدخل للمرارة فيرم بطنها وتسقط وركها وتكون لعنة بين شعبها والا فانها تبرأ منه وتحمل بنين !

وفى الاصحاحات من السادس الى العاشر تفصيل للاحتفـال الذى أقامه موسى وبنو اسرائيل لنصب الخباء والذبائح والتقدمات

والبخور والعطور التى قدمت وأحرقت فيه والخدمات التى قام بها هارون واللاويون ، وبيان فى عيد الفصح ووقته وطقوسه . ويقول الاصحاح السابع ان موسى كان اذا دخل الخباء ليكلم الرب يسمع صوتا يخاطبه من فوق الغشاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبيين ـ تماثيل الملائكة المجنحة ـ ويقول الاصحاح التاسع ان الغمام كان يغطى الخباء فى النهار وكان منظره فى الليل كمنظر نار ، وان بنى اسرائيل كانوا يرتحلون اذا ارتفع الغمام عن الخباء وينزلون اذا حل عليه فيقيمون فى منزلهم الى أن يرتفع مهما طال حلوله . ويقول الاصحاح العاشر ان الرب أمر بصنع بوقين من الفضة ليجتمع بنو اسرائيل ويرحلوا ويقيموا بالنفخ عليهما من قبل الكهان بنى هارون ، وان الرب جعل النفخ بالأبواق رسما ابديا لبنى اسرائيل فاذا خرجوا الى عدو وضايقهم هتفوا فسارع الرب الى انقاذهم ! وهذا الاصحاح ذكر أن بنى اسرائيل أخذوا يرتحلون من برية سيناء فى الشهر الثانى من السنة الثانية وكان سيرهم حسب ترتيبهم الذى رتبهم عليه موسى .

ويحكى الاصحاح الحادى عشر مسارعة بنى اسرائيل الى التذمر من مشقة الرحلة مما كان وظل يتكرر منهم ازاء كل مشقة ومما يدل على انعدام قوة المقاومة والصبر فيهم ، وسماع الرب تذمرهم واشتداد غضبه عليهم واشتعال نار الرب واحراقها بعض أطراف المحلة عقوبة لهم ، وصراخ الشعب الى موسى ودعاء هذا

الرب حتى خمدت النار . ولم يلبثوا أن عادوا الى التمر لحرمانهم من القثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم واللحم والسمك واقتصار غذائهم على المن ، وجلسوا على أبواب أخبيتهم يبكون ويندبون حظهم مما جعل غضب الرب يشتد من جديد بقوة وجعل موسى يستاء ثم يخاطب ربه قائلا : لم ابتليت عبدك ووضعت أثقال هذا الشعب على ؟ وهل أنا الذى ولدتهم حتى تقول لى : احملهم فى حجرك كما تحمل الحاضن الرضيع ، وانى لست طائقا حمله وحدى لأنه ثقيل على والا فاقتلنى ولا أرى بليتى . فأرسل الرب عليهم زحفا من طير السلوى ذراعين على وجه الأرض وملء مسيرة يوم وبينما اللحم بين أسنانهم لم يبدأوا بمضغة ضرب الرب الشعب من غضبه عليهم ضربة شديدة فسمى الموقع قبور الشهوة لأنهم دفنوا فيه القوم المشتهين للاطعمة الاخرى وتذمروا من أجلها .

وحكى الاصحاح الثانى عشر ثورة نفسية طريفة لهارون ومريم اخوى موسى على أخيهما بسبب زوجته الحبشية وقالا : ترى هل الرب كلم موسى وحده ؟ وألم يكلمنا نحن أيضا ؟ حيث تفيد العبارة أنه كان بينهما وبين الزوجة تشاد وتنافر ، وهكذا لم ينج أخو موسى وشريكه مع أخته من خلق التذمر والحسد والانانية على رأى الاصحاح . ويقول الاصحاح ان الرب نزل فى عمود غمام ووقف على باب الخباء ونادى هارون ومريم فقال

لهما اذا كان فيكم نبى فلا أخاطبه الا فى رؤيا وحلم أما موسى فانى أخاطبه عيانا فما بالكما لم تهابا من التكلم فى حقه ثم اشتد غضب الرب عليهما ومضى ، فما لبثت أن صارت مريم برصاء كالثلج فأخذ هارون يستعطف موسى فصرخ هذا داعيا بشفائها فقال الرب له لو أن اباها بصق فى وجهها أما كان يجب أن تستحى سبعة أيام وأمر بحجزها خارج المحلة سبعة أيام ثم برئت فرجعت الى المحلة .

وحكى الاصحاح الثالث عشر ان الشعب ارتحل بعد ذلك من حبرون ونزل فى برية فاران فأمر الرب موسى بارسال رجال يتجسسون على أرض كنعان فاختار رجلا من كل سبط وأرسلهم لمعرفة الأرض وسكانها وحالتهم فصعدوا واجتسوا الأرض من برية صين الى رحوب (١) عند مدخل حماه ـ ثم صعدوا من الجنوب ووافوا حبرون وكان هنالك أحيماى وشيشاى وتلماى من بنى عناق (٢) وقطفوا زرجونة ـ غصنا ـ بعنقود واحد من العنب احتاج الى اثنين لحمله بعتلة مع شىء من التين والرمان ثم عادوا الى جماعتهم فى قادش فى برية فاران وقالوا ان الأرض بالحقيقة

(١) قال مفسرو الأسفار ان رحوب كانت فى أنحاء دان قريبة من منابع الاردن وأن تعبير مدخل حماه يقصد منه امتداد حدود مملكة حماه اليها . انظر مقال « فى العبرانيين للدبس » ص ١٦٠ وفى الاصحاح الثالث من سفر التثنية سميت مملكة عوج ملك باشان التى يقوم منها اليوم مدينة بيسان باسم كورة ارحوب ولعلها هى فتكون مملكة حماه ممتدة الى حوران وتخوم مملكة بيسان والحالة هذه .

(٢) قد تفيد العبارة ان الاسماء هى اسماء عشائر من بنى عناق .

تدر لبنا وعسلا وهذا ثمرها ولكن الشعب فيها قــوى والمدن
حصينة عظيمة جدا ورأينا بنى عناق العمالقة وهم مقيمون بأرض
الجنوب والحيثيين واليبوسيين والكنعانيين وهم مقيمون فى الجبل
والكنعانيين وهم مقيمون عند البحر وعلى عـدوة الأردن ــ
والعبارة تفيد كما يبدو كثافة السكان وقوتهم وضخامة عمرانهم
غرب الأردن ــ وقالوا لا نقدر على الصعود اليهم لأنهم أشـد
منا وهم أناس طوال القامة وقد صرنا فى عيوننا كالجراد وكذلك
كنا فى عيونهم . وأخذوا يشنعون على الأرض بين بنى اسرائيل
فرفع الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكوا وتذمـروا على موسى
وهارون وقالوا لهما ياليتنا متنا فى أرض مصر أو فى البرية ولماذا
أتى الرب بنا الى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير
نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، وأليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر ؟ ثم
قال بعضهم لبعض تعالوا نقم لنا رئيسا ونرجع الى مصر . فتأثر
موسى وهارون ووقعا على وجهيهما أمام الجمهور وحاول كالب
ويشوع وهما من الجواسيس الاثنى عشر أن يبثا الشـجاعة فى
قلوب الناس فاتقد غضب الجمهور عليهما حتى حاولوا رجمهما
بالحجارة . ويقول الاصحاح وحينئذ ظهر مجد الرب فى الخبـاء
وخاطب موسى قائلا : الى متى يستخف بى هؤلاء ولا يؤمنون
بى مع جميع ما صـنعته لهم من آيات ؟ وهأنـذا سأضربهم
بالوباء وأقرضهم ، الى كم أحتمل هذه الجماعة الشريرة المتذمرة

على ؟ فأخذ موسى يستعطف الرب ويصفه بطول الاناة والرأفة ويطلب الصفح عن الشعب حتى قال له قد صفحت كما طلبت ، ولكن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وجربونى عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض ثم أمرهم بالرحيل الى البرية قائلا : فى هذا البر تسقط جثث كل المعدودين منهم عدا كالب ويشوع أما الأطفال فهم الذين يرون الأرض ، وسيكونون رعاة فى البرية أربعين سنة ويحملون فجورهم الى أن تفنى أجسادهم فيها . ولأوقعن بجميع هذه الجماعة الشريرة المتجمعة على . وفى البرية يموتون وينقرضون . ثم ضرب الرب الجواسيس العشرة الذين أثاروا ذعر الشعب فماتوا . ولما سمع الشعب كلام الرب بكوا وناحوا واعترفوا بخطئهم وأرادوا أن يتقدموا فى السير نحو أرض كنعان فنهاهم موسى وقال لهم لن يكون الرب معكم فلم ينتهوا وأخذوا يصعدون الى الجبل فنزل العمالقة والكنعانيون اليهم فضربوهم وحطموهم وشردوهم الى حرمة .

واحتوى الاصحاح الخامس عشر تفصيلات فى صدد المذبح والذبائح وايجابا على الذين ينزلون بين بنى اسرائيل من الغرباء أن يفعلوا مثلهم فيها ، حيث يدل هذا على ايجاب تدين الغريب الذى يكون عندهم بدينهم الزاما .

ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أنه ليس فى الأسفار ما يوجب على بنى اسرائيل التبشير بدينهم ودعوة غيرهم اليه

الا مثل هذا النص ومثل نص ورد فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر تثنية الاشتراع بهذه العبارة التى وردت بعد حظر دخول مرضوض الخصيتين والمجبوب ــ وهذا من الطرائف العجيبة التى لا يفهم لها حكمة ــ والعسونى والمؤابى فى جماعة الرب الى الأبد لأن العمونيين والمؤابيين لم يتلقوا بنى اسرائيل بالخبز والماء فى الطريق عند خروجهم من مصر « لا تكره الآدومى لأنه أخوك ولا تكره المصرى لانك كنت نزيلا فى أرضه والجيل الثالث الذين يولدون لهم يدخلون فى جماعة الرب وهذا وذاك لا يوجبان على بنى اسرائيل مع ذلك دعوة كما هو واضح وكل ما فيهما السماح بالدخول فى جماعة الرب مع التحفظ ، والراجح أن الذين اعتنقوا اليهودية من غيرهم اعتنقوها من طريق هذه النصوص مع مايلمح فيها من أثر واقع بنى اسرائيل وصلاتهم مع الآدوميين والمصريين فى ظرف من الظروف .

وقد أوجب الاصحاح قطع ــ قتل ــ أى اسرائيلى أو دخيل يزدرى بالرب ويستهين بكلامه وينقض وصاياه . وحكى أن اسرائيليا احتطب فى هذه الاثناء فى يوم السبت فأمر الرب موسى بقتله رجما فرجم حتى مات .

وحكى الاصحاح السادس عشر خبر حركة ثورية أو تذمرية ضد موسى وهارون قادها شخص من اللاويين اسمه قورح واثنان من بنى راؤبين وانضم اليهم ٢٥٠ من رؤساء بنى اسرائيل ، حيث

ذهبوا الى موسى وهارون وقالوا لهما ما بالكما تترفعان على جماعة الرب ــ اللاويين ــ مع أنهم مقدسون والرب بينهم ؟ فلما سمع موسى ذلك سقط على وجهه ثم قال لهم غدا يعلن الرب من هو المقدس فيقربه اليه وطلب احضار مجامر وبخور لحرقه أمام الرب فى الغد ، ثم قال لقورح أقليل عندكم يا بنى لاوى أن الرب قربكم اليه دون بنى اسرائيل وخصصكم لخدمة سكنه حتى تطلبوا الكهانة ايضا ؟ واستدعى الزعيمين الآخرين فلم يلبوا دعوته وقالوا لرسله يقولون له أقليل انك أخرجتنا من أرض تدر لبنا وعسلا لتقتلنا فى البرية حتى تريد أن تترأس علينا أيضا ؟ ولم تدخلنا أرضا تدر لبنا وعسلا ولا أعطيتنا ميراث كرم وحقل . وفى الغد اجتمع الجماعة وحرقوا البخور فتجلى الرب وقال لموسى وهارون انفرزا من الجماعة حتى أفنيهم فسقطا على وجهيهما وقالا : اللهم واحد يخطىء وتسخط على الجماعة كلها ، فأمر الرب أن تتباعد الجماعة عن مساكن الزعماء الثلاثة فتباعدت فلم تلبث الأرض ان انشقت وابتلعتهم بجميع مالهم وبيوتهم وأهلهم ثم خرجت نار من عند الرب فأكلت المائتين والخمسين الذين تضامنوا معهم . ثم وطد الاصحاح الكهانة وايقاذ البخور أمام الرب لنسل هارون فقط . وعاد بنو اسرائيل فى الغد فشغبوا على موسى وهارون وقالوا لهما انكما قتلتما شعب الرب وهموا بالهجوم فالتجآ الى الخباء فاذا الغمام يغطيه والرب يتجلى فيه ويقول

لموسى وهارون انفرزا من الجماعة لأفنيهم فى لحظة فأمر موسى هارون بالاسراع فى ايقاد البخور للتكفير عن الجماعة ولكن لم يكد يفعل حتى بدأت ضربة الرب فى الشعب فمات منهم ١٤٧٠٠ وتقدم هارون بالبخور وكفر عن الشعب ووقف بين الأحياء والموتى فانكفت الضربة .

وفى الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر توطيد متنوع الأسلوب لمهمة الكهانة لهارون وبنيه مع توطيد خدمات المخبأ الأخرى للاويين ، واعلان لحرمان هارون وبنيه واللاويين من ارث الأرض وتخصيص العشر من كل شئ لهم مقابل خدماتهم الدينية .

وفى الاصحاح التاسع عشر تشريع بحفظ رماد بقرة بعد حرقها وخلطه بماء ينضح به كل متنجس حتى يطهر . وتشريع بنجاسة كل من لمس ميتا أو قتيلا أو قبرا أو عظم انسان سبعة أيام ونضحه بماء رماد البقرة حتى يطهر وايجاب قتل من لم يفعل ذلك اسرائيليا كان أم دخيلا . وهو غريب وطريف . ويحتمل أن يكون هذا متأثرا بطقوس المصريين ومتصلا بقدسية العجل أبيس عندهم .

واحتوى الاصحاح العشرون خبر حلول بنى اسرائيل فى برية صين أثناء تيههم وتذمرهم وشغبهم على موسى وهارون قائلين لهما متنا عند اخوتنا ولماذا أصعدتمانا من مصر وجئتما بنا الى هذه

الأرض الخبيثة التى لا زرع فيها ولا شجر ولا ماء ؟ فقال لهم موسى : أتريدون أن أضرب الصخرة لأخرج لكم منها ماء فتجلى الرب وأمره بضربها بالعصا فتنفجر منها الماء فعلا ثم قال لموسى وهارون بما أنكما لم تؤمنا بى ولم تقدسانى على عيون بنى اسرائيل فأنتما أيضا لا تدخلان الأرض التى أعطيتها للجماعة !

ثم حكى الاصحاح نفسه خبر ارسال موسى رسلا من قادش الى ملك أدوم يحكون له قصة خروج اسرائيل بعد العذاب والاضطهاد ويطلبون منه اذنا بالمرور من أرضه ويتعهدون له بالسير فى الطريق السلطانى دون الحيدان يمنة اويسرة أو الاضرار بحقل أو كرم الى أن يجوزوا تخمه ، فأبى وأنذرهم بالحرب ، ثم خرج عليهم بشعب عظيم ويد شديدة فتحولوا عن تخمه وداروا حوله بطريق جبل اسمه هور حيث مات هارون ودفن فيه . وقد ذكر الاصحاح الثانى من سفر التثنية الذى يأتى بعد سفر العدد هذا أن الرب أمر بنى اسرائيل بعدم مناصبة بنى عيسو المقيمين فى جبل سعير العداء فانه غير معطيهم من أرضهم شيئا ولو موطىء قدم لأنه وهبها لعيسو ميراثا ، وأنه أمرهم أن يدوروا حول تخمه اذا لم يؤذن لهم بالمرور من الأرض حيث يراد بذلك تعليل عدم الدخول فى أرض أدوم عنوة كما هو المتبادر . فقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل بلاد أدوم فى عهد داود وسليمان وكانوا يفرضون

سلطانهم عليها فترة بعد فترة كما حاولوا ذلك بعدهما ناقضين وصية ربهم المزعومة •

ويستفاد من الاصحاح الثانى من سفر التثنية ايضا أن تحرك بنى اسرائيل نحو أدوم وشرق الاردن انما كان بعد أن فنى الرجال المعدودون الذين جبنوا عن التقدم وقضى عليهم بعدم دخول أرض كنعان وبالفناء بالبرية •

وحكى الاصحاح الحادى والعشرون من سفر العدد أن ملك عراد (١) الكنعانى سمع خبر مجىء بنى اسرائيل عن طريق أتاريم فخرج اليهم وقاتلهم وسبى منهم فدعا بنو اسرائيل لربهم فدفع اليهم الكنعانيين فأسلبوهم هم ومدنهم حسب عبارة الاصحاح ! ثم رحلوا من طريق بحر القلزم على ما حكاه الاصحاح نفسه ليدوروا حول أرض أدوم ولم يلبثوا أن عادوا الى تذمرهم على موسى قائلين له : لماذا أصعدتنا من مصر لنموت فى البرية ؟ فسلط الله عليهم الحيات فلدغت وأماتت منهم كثيرين فتضرع موسى للرب فكف عنهم الحيات وأمره بصنع حية نحاسية ورفعها على سارية فيبرأ كل لديغ نظر اليها • وهذا أثر من آثار الطقوس المصرية وتعاويذهم على ما هو معلوم • ثم ارتحلوا بضع مراحل حتى نزلوا فى منزل يدعى باموت • ومن هنا أرسل موسى رسلا

---

(١) يقول مفسرو الاسفار أن عراد فى منطقة الحجر العربية اى وادى موسى • انظر مقال فى العبرانيين للدبس ص ١٦٤ •

الى سيحون الأمورى ملك حشبون التى يقوم مكانها اليوم قرية حسبان فى البلقاء فى شرق الأردن يطلب منه الاذن بالمرور من أرضه فأبى وخرج مع جميع قومه للقاء بنى اسرائيل ومنعهم واشتبك معهم فى حرب فى ياهص دارت فيها الدائرة عليه فاستولوا على أرضه ومدنه من أرنون الى يبوق الى تخم بنى عمون الذى كان منيعا على ما ذكره الاصحاح نفسه . وقد ذكر الاصحاح الثانى من سفر التثنية أنهم قتلوا كل الرجال والنساء والأطفال ولم يبقوا باقيا وأخذوا كل ما وجدوه من بهائم وأموال . وبعد أن اقاموا ردحا فى المدن والأرض المفتوحة صعدوا فى طريق باشان التى يقوم مقامها اليوم مدينة بيسان فخرج عليهم ملكها عوج مع جميع قومه واشتبك معهم فى الحرب فى مكان اسمه أذرعى ـ لعله مكان قرية اسمها زرعين اليوم بين بيسان ومرج بنى عامر ـ وشجعهم الرب وقال لهم تصنعون به ما صنعتم بسيحون فكتبت لهم الغلبة عليه فضربوه وقومه حتى لم يبق له شريد وورثوا أرضه .

وننبه على أن هذه العبارة تكررت بعد هذا كثيرا ولكن النصوص تفيد أنها لم تكن صادقة وأنه كان فى هذه المنطقة وغيرها مما ذكرت الأسفار نفس العبارة عن سكان لم يقو بنو اسرائيل على طردهم فبقوا حيث هم ، مما هو من مبالغات الأسفار كما هو المتبادر .

ونقول استطرادا ان الاصحاح الثالث من سفر التثنية ذكر أن عوج من الرفائيين وبالتالى من الأرومات العربيـة الأصل على ما رجحناه قبل ، وأن منطقة كانت تسمى كورة أرحوب وأن عدد مدنها التى استولى عليها بنو اسرائيل ستون وأنها كانت محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزاليج وكان يتبعها قرى كثيرة جدا حيث يدل هذا على ما كانت عليه هذه المنطقة من عمـران وكثافة سكان •

ويحكى الاصحاح الثانى والعشرون خبر ارتحال بنى اسرائيل بعد ذلك ونزولهم فى صحراء مؤاب التى عبر أردن أريحا ورأى بالاق بن صفور ملك مؤاب ما صنعه بنو اسرائيل فى الأموريين فارسل وفدا الى بلعام بن يعور الذى كان يسكن مدينة اسمها فاتور على النهر لاستدعائه اليه لأجل لعن بنى اسرائيل الذيـن غطوا وجه الأرض وطردهم من حدود مملكتـه • ثم يحكى الاصحاح والاصحاحان التاليان له ما كان بين بالاق وبلعام ومباركة بلعام لبنى اسرائيل بدلا من لعنتهم بأمر الرب فى سياق طويل لا يخلو من خيال ومبالغة وان كان لا يخلو من حقيقة أيضا على ما نرجح •

ولم يقع بين بنى اسرائيل وبين المؤابيين والعمونيين صدام فى هذه المرحلة وتعزو الاسفار ذلك أيضا الى وصية الرب حيث ورد الاصحاح الثانى من سفر التثنية أن الرب أمرهم بعدم مناصبتهم

العداء لأنه غير معطيهم شيئا من أرضهم ولا موطىء قدم لأنه وهبها ميراثا لبنى لوط .

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل هذه البلاد أيضا وحاولوا فرض سلطانهم عليها فترة بعد فترة ناقضين وصية ربهم المزعومة، والظاهر أن هذه البلاد وأهلها كانوا من القوة بحيث لم ير بنو اسرائيل لهم طاقة بهم فى هذه المرحلة فتحرزوا من الاشتباك معهم، والوصية لم تشمل مملكة سيحون الأمورى . ومع ذلك لم يحاولوا دخولها عنوة وطلبوا الاذن بمرورهم منها مرورا ، مما قد يؤيد ما قلناه .

وقد ينطوى فى هذا دليل على مبالغة الأسفار فى عدد المحاربين من بنى اسرائيل الذى قال الاصحاح الثانى من سفر العدد انه ستمائة ألف ونيف !

ويبدو من الحركات التى قام بها بنو اسرائيل بقيادة موسى فى شرق الأردن أن الأرض التى منعوا منها أربعين سنة هى غرب الأردن وبالتالى فان غرب الأردن فقط هى أرض كنعان التى كانوا وظلوا يزعمون أن الههم اعطاها لهم . .

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد ذكر ان بنى اسرائيل أقاموا فى شطيم التى يرجح أنها شطه اليوم فى منطقة بيسان ، وأنهم أخذوا يفجرون مع بنات مؤاب وأن البنات دعونهم الى ذبائح آلهتهم فأكلوا منها وسجدوا

للآلهة وتعلقوا ببعل فاغور (١) ، وأن غضب الرب اشتد عليهم فأمر موسى القضاة — لعل المقصود النقباء — بقتل كل واحد تعلق بالبعل • وفى هذه الأثناء جاء اسرائيل ومعه بغى مدينية فقدمها لاخوته بينما كان بنو اسرائيل يبكون من غضب الرب فسارع فنحاس الكاهن وطعن الرجل والمرأة بالرمح فقتلهما ومات بضربة ربانية من الشعب أربعة وعشرون الفا كما يذكر الاصحاح •

وفى الاصحاح السادس والعشرين أمر ربانى باحصاء بنى اسرائيل من ابن العشرين فما فوق من الذكور فبلغوا كما يقول الاصحاح ٦١٧٧٣٠ ولم يكن بينهم مىن أحصوا فى برية سيناء غير كالب ويوشع حيث ماتوا فى البرية حسب وعيد الرب • والمبالغة فى الرقم ظاهرة شأن رقم الاحصاء الأول •

وفى الاصحاح السابع والعشرين تشريع بانتقال ارث الآباء للبنات ان لم يكن لهم بنين ، بناء على شكاية ثلاث بنات فى ذلك ثم تشريع بأن يكون ميراث الرجل الذى لم يخلف أولادا لاخوته فان لم يكن له اخوة فلأعمامه فان لم يكن له أعمام فلأدنى قرابته من عشيرته • وقد حكى الاصحاح السادس والثلاثون مراجعة أهل البنات الثلاث لموسى وقولهم له : ان البنات قد يتزوجن من رجال من غير سبطهم فيذهب ارثهم لهم فأوجب موسى بأمر الرب أن يتزوج البنات وأمثالهن فى سبطهن حتى لا يختل ميراث السبط

(١) الغالب انه اسم المدينة لأن العادة ان ينسب البعل الى المدن •

وفى الاصحاح السابع والعشرين اخطار ربانى لموسى بقـــرب أجله وطلب موسى من الرب تعيين وكيل لبنى اسرائيل يحـــل محله فيهم وتعيين يشوع بن نون ومباركة الكاهن له كتدشين لرئاسته •

وفى الاصحاحات الثامن والعشرون والتاســـع والعشرون والثلاثون تشريعات طقسية متنوعة فى الذبائح والنذور لا طائل من سردها ونرجح أنها متأثرة بما كان فى مصر من طقوس مماثلة •

وحكى الاصحاح الثانى والثلاثون أمر الرب لموسى بالانتقام من المدينيين قبل أن يموت تنفيذا لوصية جاءت فى آخر الاصحاح الخامس والعشرون بمضايقة المدينيين وضربهم لأنهم ضايقوا بنى اسرائيل باحتيالاتهم التى احتالوا بها عليهم فى أمر بعل فغــور والمرأة البغى التى قتلها الكاهن •

وقال الاصحاح ان موسى انتدب من كل سبط ألف محارب وسيرهم الى مدين ومعهم فنحاس الكاهن فى يده أمتعة القدس وأبواق الهتاف للبركة والاستنصار • فذهبوا وقاتلوا المدينيـــين وقتلوا كل ذكر مع خمسة ملوك لهم وهم أوى وراقم وصـــور وحور ورابع كما قتلوا بلعام بن باعور ــ وهو العــراف الذى باركهم ولم يلعنهم خلافا لأمر بالاق ملك مؤاب ــ وسبوا النساء والأطفال وغنموا جميع البهائم والمواشى والأثاث ، وأحرقوا جميع المدن والمساكن والقصور وعادوا بالغنائم والسبى • وقد حكى

الاصحاح أن موسى سخط على رؤساء الجيش لأنهم استبقوا الاناث كلهن وهن سبب الشر ثم أمر بقتل كل طفل ذكر وكل أنثى ثيب من السبى واستبقاء الاناث الابكار الصغار والكبار ففعلوا ! وكانت الغنائم ٦٧٥٠٠٠ من الغنم و٧٢٠٠٠ من البقر و٦١٠٠٠ من الحمير و٣٢٠٠٠ من الأبكار • ووزع النصف على المحاربين واثنين من الالف على حراس الخباء من اللاويين • ومما حكاه الاصحاح أن رؤساء الجيش تقدموا الى موسى وقالوا انه لم يفقد من رجال الحرب أحد وأنهم قرروا لذلك أن يقدموا ما دخل ليد كل منهم من أدوات ذهبية تقدمة وكفارة للرب فبلغ وزن ذلك ١٦٧٥٠ مثقالا ذهبا فأخذه موسى وأدخله فى خزائن الرب • أما ما دخل ليد المحاربين من ذهب فأبقاه لهم •

والعملية الانتقامية عجيبة ظالمة شديدة القسوة فى أسبابها وكيفيتها • وهذا النوع من العمليات قد تكرر فى رأض كنعان فى عهد يشوع وما بعده على ما سوف نذكره بعد • ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن مدين كانت الملجأ الذى لجأ اليه موسى وكانت زوجته الأولى بنت كاهنها على ما ذكرناه قبل • وقد حكت بعض اصحاحات سفر الخروج والعدد قدوم الكاهن على موسى وترحيبه به وببنى اسرائيل وسروره وشكره للرب بنجاتهم وخلاصهم • ولم تحك الأسفار تبدل حالة الصداقة أو السلم الى حالة عداء : والذريعة التى تذرع بها الى غزو المدينيين والفتك

بهم وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم بهذه القسوة العجيبة تافهة جدا وفردية . ونحن ننزه الله عن الأمر بها ونعتبر نسبتها اليه من المآخذ التى تؤخذ على الأسفار ، وتدل على ما كان ينطوى فى نفوس بنى اسرائيل من غل وحقد وشره ضد غيرهم ولو لم يكن بينهم حالة عداء بل ولو كانوا مسالمين لهم أو لهم يد سابقة عليهم والعدوان عليهم بكل قسوة فى أى ظرف يتهيأ لهم فيه الامكان والمجال والقدرة . والتوسل الى ذلك بأتفه الوسائل . ولا شك أن نسبتها الى الله وتسجيلها كذلك ثم تسجيل سخط موسى على الرؤساء لاستبقائهم الأطفال والنساء ـ وهذا مما يزيد العملية قسوة وبشاعة ـ كان وما يزال شديد التأثير فى تأصيل فكرة القسوة فى بنى اسرائيل ضد الشعوب الأخرى ـ وفى قتلهم بلعام ابن يعورا مظهر آخر من مظاهر روحهم الجاحدة الغادرة حيث أنستهم ما كان من مخالفته لأمر ملكه ومباركته لهم بدلا من لعنتهم . وفى تسجيل قتله تأصيل كذلك لروح الجحود والغدر فيهم ضد من يحسن اليهم ..

ومهما يكن من أمر فان سياق القصة قد يدل على أن منطقة مدين كانت عامرة غنية وكان فيها مدن عديدة منها خمس كانت كراسى ملوك فى هذا الظرف . وأسماؤهم تحمل اللمحة العربية القديمة وبالتالى تدل على أرومتهم العربية الأصل .

ولقد ذكرت أسفار أخرى أن مدين انتعشت وقويت وكان

سكانها يزعجون بنى اسرائيل فى عهد القضاة وبعده مع من كان يزعجهم من أهل الأرض حيث يدل هذا على المبالغة فى تسجيل الابادة وعلى تأصل العداء بينهم وبين بنى اسرائيل نتيجة لهـذا العدوان العجيب الذى لا مبرر له ٠

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين قصة تخصيص مملكتى حشبون وباشان التى فتحها بنو اسرائيل عنوة لسبطى راؤوبين وجاد ونصف سبط منسى حيث جاءوا الى موسى وطلبوا منـه ذلك لأنهم كانوا أصحاب ماشية والأرض صالحة للماشية ٠ وقبل منهم موسى وأوصى يوشع والكاهن بتحقيق طلبهم بعـد أن تعهدوا بأن يساعدوا الأسباط الاخرى فى زحفهـا على غرب الأردن وفتحها البلاد ٠

واحتوى الاصحاح الثالث والثلاثون أسماء مراحـل بنى اسرائيل منذ خروجهم من مصر الى أن نزلوا صحـراء مؤاب مما لا ضرورة الى سرده ثم انتهى الاصحاح بأمـر الرب لموسى بأن يقول لبنى اسرائيل انكم جائزون اردن الى أرض كنعـان فتطردون جميع أهلهـا من وجهكم وتبيدون جميع منقوشاتهـا وأصنامها وتدكون مشارفها وتملكونها وتقيمون فيها وتوزعونها بالقرعة على الأسباط التسعة والنصف حسب أعدادهم قلة وكثرة، وأنكم اذا لم تطردوا أهلها كان من تبقونه منهم كابرة فى عيونكم وكحربة فى جنوبكم يضايقونكم فى الأرض التى تقيمون بهـا

فأصنع بكم ما نويت أن أصنع فيهم مما يلمح فيه أثر الوقائع التى جرت فعلا عند زحف بنى اسرائيل وروح القسوة المسيطرة عليهم ضد الشعوب الاخرى ...

وفى الاصحاح الرابع والثلاثين تحديد لتخوم أرض كنعان وأسماء عشرة رؤساء عينهم موسى باسم الرب لقسمتها وتوزيعها على الأسباط التسعة والنصف مما هو متأثر كذلك بالوقائع التى جرت معهم بعد زحفهم على غرب الأردن . وتغلبهم على مساحة كبيرة منها وعلى سكانها .

وفى الاصحاح الخامس والثلاثين تشريع لعقوبة القتل ومدن الملاجىء . وفيها أمر من الرب بتعيين ست مدن ، ثلاث فى شرق الأردن وثلاث فى غربه لتكون ملاجىء ليهرب اليها القاتل من وجه ولى القتيل حتى يحاكم ويكون من حق الغريب والدخيل الالتجاء اليها كالاسرائيلى . أما العقوبة التى يحكم بها القضاة فهى الاعدام للقاتل اذا ضرب القتيل بآلة حديدية أو حجر يد أو آلة خشبية مما يقتل به أو دفعه أو القى عليه شيئا متعمدا ، أو ضربه بيده عن عداوة . وللولى قتل القاتل ان صادفه واذا تبين أن القتل وقع بغير عمد ولا عداوة فللجماعة ان تساعد القاتل على الهروب الى مدينة ملجأ ليقيم فيها حتى يموت الكاهن الأعظم الذى وقع الجرم فى زمنه وحينئذ يرجع الى أرضه . واذا خرج هذا القاتل من مدينة الملجأ قبل موت الكاهن وصادفه ولى القتيل

قله أن يقتله ولا دم عليه • والقاتل يقتل بشهادة الشـــهود ، وشهادة الواحد لا تكفى لقتل المتهم • ولا تؤخذ دية عـن نفس قاتل وجب عليه القتل ، ولا تؤخذ دية من قاتل ليهرب الى مدينة ملجأ ولا ليعود الى أرضه قبل موت الكاهن •

وفى الاصحاح السادس والثلاثين وهو آخر اصحاحات سفر العدد تكملة لتشريع ارث البنات فى الأرض وقد أوردنا خلاصتها قبـــل •

- ٤ -

ويأتى بعد سفر العدد سفر التثنية أو تثنية الاشتراع كمـا تسميه النسخة الكاثوليكية • وهو أربعة وثلاثون اصحاحا فى ستين صفحة • ومعظمه حكاية لكلام موسى لبنى اسرائيل وعظا وتذكيرا أو ترغيبا وترهيبا • وفيه تكرار فى سياق ذلك لكثير مما ورد فى سفرى الخروج والعدد من وقائع بنى اسرائيل كما فيـه كثير من التشريعات والوصايا الخلقية والمدنية والاجتماعيـة والطقسية والترغيبات والترهيبات والتنبؤات والتقريـرات التى ذكرت فى أسفار الخروج والعدد والاحبار كذلك ، وان كان مـا جاء فيه من ذلك قد جاء مختلفا بعض الاختلاف وبزيادة ونقص وتقديم وتأخير • ولعل تسمية السفر باسم التثنية هو بسـبب

ما احتواه من هذه الشئون التي ذكرت في الأسفار الثلاثة السابقة وجاءت فيه مكررة للمرة الثانية • وفيه هو الآخر كثير من الخيال والغلو والمفارقات •

وطابعه البارز ما هو منبث في كل اصحاحاته تقريبا من تشديد بالتزام وصايا الرب وعبادته وحظر الشرك به وصنع الأصنام والسجود لها وتنويه بما سوف يناله بنو اسرائيل من حظوة ونصر وهناء اذا التزموها وانذار شديد بما سوف يصيبهم من شر وهلاك اذا انحرفوا عنها •

والمرجح ان لم نقل من المحقق أن كاتبه غير كاتب الأسفار السابقة له • ويلمح فيه أثر حالة وسيرة بني اسرائيل بعد طروئهم على غرب الأردن أيضا وما ارتكسوا فيه من انحرافات وأصابهم من محن وشتات بحيث يمكن أن يقال انه دون أو أعيد تدوينه بعد السبي •

وسنكتفي باقتباس ما فيه من جديد او ما يجدر لفت النظر اليه منه •

ولقد احتوت الاصحاحات الثلاثة الأولى خلاصة لما كان من سيرة بني اسرائيل في البرية وما جرى لهم منذ اتجاههم نحو شرق الأردن الى أن استولوا على مملكتي حشبون وباشان مما أوردناه قبل اقتباسا من سفر العدد • وأسلوب الاصحاحات الثلاثة أسلوب تذكيري ووعظي وتنديدي معا • وعبارتها تفيد

أن حركة موسى نبى اسرائيل واتجاهه نحو شرق الاردن قد كان بعد انقضاء مدة الاربعين سنة التى قضى عليهم بان يعيشوها فى البرية حتى يفنى رجالهم المعدودون الذين جبنوا وذعروا من وصف سكان أرض كنعان وقوتهم .

وفى الاصحاح الرابع بعض الأوامر المكررة بوجوب حفظ وصايا الرب وأحكامه وخاصة عدم الاشراك به وصنع التماثيل لأى شىء والسجود لها وهذه الوصية هى الوصية الجوهرية التى تتركز وصايا وتشديدات السفر فيها بل وفى كل سفر هذه العبارة « فاحذروا أنفسكم من أن تنسوا عهد الرب فتصنعوا لكم تمثالا منحوتا لانه اله غيور . واذا ولدتم بنين وبنى بنين وتعتقتم فى الأرض ففسدتم وفعلتم الشر وحملتم تمثالا منحوتا بشىء ما وفعلتم الشر فى عين الرب وأسخطتموه فانى منذ اليوم أشهد عليكم السماء والأرض بأنكم تبيدون سريعا من على الأرض التى أنتم عابرون اليها ويشتتكم الرب فيما بين الشعوب حتى تبقوا جماعة معدودة بين الأمم وتعبدون هناك آلهة صنعة أيدى بشر من خشب وحجر» . حيث يلمح فى العبارة أثر واقع بنى اسرائيل وسيرتهم بعد دخولهم أرض كنعان وما كان من اجلائهم عنها . ولقد ورد بعد هذا ، هذه العبارة « وتطلب من ثم الرب الهك فتجده اذا التمسته بكل قلبك وكل نفسك . واذا ضيق عليك وأصابتك هذه الأمور كلها فى آخر الايام ترجع

وازدهار قبل طروء بنى اسرائيل وهما اللذان عاشوا عليهما دون جهد وتعب .

وفى الاصحاح السابع فى سياق تشجيع بنى اسرائيل وتأميلهم بنصر الله اذا هم حفظوا وصاياه بيان للخطة التى يجب أن يسلكها بنو اسرائيل مع أهل البلاد ــ أرض كنعان ــ بهذه العبارة « اذا أدخلك الرب الهك الأرض التى أنت صائر اليها لترثها واستأصل امما كثيرة من أمام وجهك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب الهك وضربهم فأبسلهم ابسالا ــ بمعنى الابادة والافناء ــ لا تقطع معهم عهدا ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم . ابنتك لا تعطيها لابنه ، وابنته لا تأخذها لابنك . لأنه يغوى ابنك عن اتباعى فيعبد آلهة أخرى فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعا بل تنقضون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون غاباتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار . لأنك شعب مقدس للرب الهك . واياك اصطفى أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التى على وجه الأرض » .

والخطة توجيه نحو العدوان المباشر الهادف الى ابادة السكان فى غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دون ما اعذار ولا انذار ولا دعوة الى سلم وتوحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثيلها فى الوحشية والقسوة والشمول تعالى الله وتنزه

الى الرب الهك وتسمع لصوته لأن الرب الهك رحوم لا يخذلك ولا يبيدك» حيث يبدو فيها ذلك الاثر أيضا مع مافيها من أثر الفكرة الاختصاصية التى تأصلت فى بنى اسرائيل من كون الههم يسرع الى تأييدهم ولا يقسو عليهم كل القسوة والتى كانت من اسباب ومظاهر عقدهم النفسية •

وفى الاصحاحين الخامس والسادس بالاضافة الى الانـذار والتذكير تكرار الوصايا التى ذكرت فى سـفر الخروج والتى تعرف بالوصايا العشر او الكلمات العشر ، وهى النهى عن الشرك بالله وعبادة غيره وصنع الأصنام والسجود لها ، وعن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور واشتهاء زوجة القريب وجمع ماله والأمر بحفظ السبت وتكريم الوالدين ، وأمر بكتابتها على عقائـد الابواب وجعلها عصائب بين العينين وعقدها علامة على الأيدى وذكرها دائما وتحفيظها للابناء •

وفى الاصحاح السادس وصف لأرض كنعان فى سـياق التشديد بالتزام الوصايا والتذكير بعناية الله وتأييده بنى اسرائيل جاء فيه : « مدن عظيمة حسنة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وصهاريج محفورة لم تحفرها وكروما وزيتونا لم تغرسها» حيث ينطوى فى الوصف تنويه بما كانت عليه أرض كنعان ـ أى غرب الأردن الذى كان المقصود الرئيسى بها ـ من عمـران

عنها . والراجح أن تسجيلها متأثر بواقع العدوان الاسرائيلى على أرض كنعان وتنفيذه الفعلى لها على ما سوف نشرحه بعد ، كما أن فكرة الاختصاص التى كانت أقوى مظاهر ما انبثق فى نفوس اسرائيل من عقد بارزة فى هذا التسجيل وخاصة فى الجملة الأخيرة التى سجلها كاتب السفر كسبرر كاف لهذا العدوان .

واذا كان الاصحاح العشرون من السفر نفسه احتوى أمرا لبنى اسرائيل بدعوة المدينة التى يتقدمون الى قتالها الى السلم أولا فان هذا محصور بالمدن البعيدة جدا دون مدن أرض كنعان أولا ، وليست دعوة الى سلم وسلام وتوحيد لأنها تأمر باستعباد جميع شعب المدينة التى توافق على الاستسلام ، كما ترى فى هذا النص الرهيب الذى يجعل الخطة أتم صورة وأوسع شمولا « واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولا الى السلم فاذا أجابتك وفتحت لك فجميع الشعب فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك وان لم تسالمك بل حاربتك فى صرتها وأسلمها الرب الى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف . وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما فى المدينة ، فتكون غنيمة لك أعطاكها الرب . هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن أولئك الامم هنا . وأما مدن أولئك الأمم التى يعطيها لك الرب ميراثا فلا تستبق منها نسمة . بل أبسلهم ابسالا الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين

كما أمرك الرب الهك ــ تعالى الله عن ذلك ــ كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل رجاساتهم فتخطئوا الى الرب الهكم» •

ولقد سمى الاصحاح الخامس والعشرون من هذا السفر أهل أرض كنعان بالاعداء ، والمفروض ان التسمية كانت قبل طروء بنى اسرائيل على هذه الأرض مع أنه لم يكن بينهم وبين سكانها أى عداء سابق ولم يكن من هؤلاء أى موقف عدوانى أو مناوىء سابق ، بل وكان بين الأجداد السابقين لكل منهم صلات ودية وحلفية على ما ذكره سفر التكوين مما يقوى صورة العدوان القاسى المتمثلة فى هذه الخطة الرهيبة التى كان كل هدفها افتلاع أهل هذه الأرض من جذورهم وابادتهم والحلول محلهم دون ما شفقة ولا رحمة بصغير وشيخ وامرأة بغيا وافتئاتا ، تعالى الله وتنزه عنها• وقد تكون الخطة أو تسجيلها متأثرا بما كان من واقع سيرة بنى اسرائيل بعد طروئهم على غرب الأردن ولكنها على كل حال مظهر لما كان يعتمل فى نفوسهم من غل وحقد نتيجة لحياة الاضطهاد التى عاشوها فى مصر ثم لأنانيتهم وعقدهم النفسية التى جعلتهم يعتبرون هذه البلاد لهم وحدهم ويبررون لأنفسهم ابادة أهلها بدون رأفة ولا رحمة •

وفى الاصحاح الثامن وصف آخر لأرض كنعان فى سياق تكرار الأوامر بحفظ وصايا الرب بهذه العبارة القوية : « ان الرب الهك يدخلك أرضا صالحة ذات أنهار وعيون تنفجر فى

غورها ونجدها ، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان • أرض زيت وعسل • أرضا لا تأكل خبزك فيها بتقتير ولا يعوزك فيها شيء • أرضا حجارتها الحديد ومن جبالها تقطع النحاس » •

وفى الاصحاح التاسع تنويه آخر بمدن أرض كنعان وأممها فى سياق ذكر تهيؤ بنى اسرائيل للعبور اليها وتشجيعهم ووعدهم بالنصر ونهيهم عن الخوف والجبن بهذه العبارة « انك جائز الأردن لتدخل وتملك أمما أكثر وأعظم منك ، ومدنا عظيمة ومحصنة للسماء ، وشعبا عظاما طوالا بنى عناق الذين عرفتهم» وفى الاصحاح تنبيه لبنى اسرائيل أن الرب انما يعطيهم الأرض وفاء بقوله وقسمه لآبائهم وليس لبرهم واستقامتهم وتذكير بما كان من انحرافاتهم وتذكير بما كان من انحرافاتهم ومواقفهم التمردية فى البرية ، مما ينطوى فيه أو فى تسجيله الذى كان متأخرا فكرة الاختصاص الربانى لبنى اسرائيل بقطع النظر عن استقامتهم وانحرافهم وكون ذلك أساسا من أسس حياتهم •

وفى الاصحاح الثالث عشر تحذير من الأنبياء والرائين اذا دعوا الى آلهة غريبة وايجاب قتلهم ولو ظهر على أيديهم معجزات مما هو الآخر متأثر بواقع بنى اسرائيل بعد طروئهم على أرض كنعان•

وفى الاصحاح الخامس عشر تشريع بدورة ابراء سباعية حيث

توجب على بنى اسرائيل فى كل دورة سبع سنين ، ابراء كل مدين عبرانى ، وعتق كل عبد عبرانى دون الغريب (١) •

وفى الاصحاحات الثانى عشر والرابع عشر والسادس عشر والسابع عشر تشريعات متنوعة فى النذور والذبائح والتقدمات والأطعمة واللحوم وأسبوع الفطير وعيد الفصح مما يماثل قليلا أو كثيرا ما احتواه سفر الخروج والاحبار •

وفى الاصحاح السابع عشر أمر باقامة ملك كسائر الأمم حينما يملكون الأرض واشترط أن يكون الملك اسرائيليا وليس أجنبيا وأن لا يستكثر من الخيل حتى لا يرد الشعب الى مصر بسبب كثرة الخيل ، ومن النساء لئلا يزيغ قلبه •

وقد يبدو فى عبارة الخيل أن من تقاليد أو ذكريات بنى اسرائيل أن كثرة الخيل كانت السبب فى نزوح آبائهم الى مصر • أما التحذير من استكثار النساء فالمتبادر انه متأثر بواقع ملوك بنى اسرائيل بعد طروئهم على أرض كنعان على ما سوف نذكره بعد •

وفى الاصحاح الثالث والعشرين نهى عن دخول أى عمونى أو مؤابى فى جماعة الرب الى الأبد لأنهم لم يتلقوا بنى اسرائيل

---

(١) فى سفر الاحبار اقتصرت الدورة السباعية على اراحة الارض وجعل العتق فى الدورة الخمسينية على ما اوردناه قبل •

بالخبز والماء حينما جاءوا من مصر ونهى عن ابتغاء سلمهم وخيرهم الى الأبد • وقد نهى الاصحاح فى الوقت نفسه عن كره الأدومى لأنه أخو الاسرائيلى وعن كره المصرى لأنه كان نزيله والسماح للجيل الثالث من أبنائهم بالدخول فى جماعة الرب •

والمتبادر أن المقصود من العبارة هو عدم قبول العمونيين والمؤابيين فى الديانة اليهودية • ومنع العمونى والمؤابى دون المصرى والأدومى متناقض لأن الأسفار لم تذكر عداء ولا حربا بين العمونيين والمؤابيين من ناحية والاسرائيليين من ناحية أخرى فى حين ذكرت خروج الأدوميين لحربهم واصرارهم على عدم السماح لهم بالمرور من أرضهم ، وفى حين ذكرت مرارا ما كان من اضطهاد المصريين لهم حتى جعلوهم يفرون • ومن المحتمل أن يكون هذا متأثرا بواقع ما فى فترة من التاريخ بعد دخول بنى اسرائيل أرض كنعان حيث كان عداء وصيال بينهما •

ومهما يكن من أمر فالعبارة بالنسبة للأدوميين والمصريين لا تفيد دعوة وتبشيرا باليهودية وكل ما فى الأمر السماح لمن يريد هو بنفسه الدخول فى جماعة الرب منهم بعد أن يكون مر عليهم بينهم ثلاثة أجيال على الأقل والعبارة بالنسبة للمؤابيين والعمونيين سد لباب الله ودينه ــ تنزه الله وتعالى عن ذلك ــ مع أن الأسفار تذكر أنهم أبناء لوط ابن أخى أبيهم الأكبر ابراهيم • والكلام فى جملته يؤيد ما قلناه قبل من كون اليهودية

ليست دينا تبشيريا وانسانيا عاما ومن كون بنى اسرائيـل كانوا يعتبرونها دينهم الخاص ويعتبرون الله الههم الخاص ـ جل وعلا ـ مع شيء من التساهل بالنسبة لمن يرون من الأمم وبعـد أن يكون قد مر عليه بينهم ثلاثة أجيال مما لا يكاد يكون له مثيل ، ومما أوجد فيهم عقدهم النفسية تجاه الأمم الأخرى وجعلهم فى عزلة تامة عنها • وقد وطدوا هذا كله بما زعموه لأنفسهم مـن تقديس وتمييز على جميع الشعوب مما أوردنا نصوصا فيه قبل قليل نقلا عن الاصحاح السابع خاصة • ومن مظاهر ذلـك ومؤيداته أن جميع ما احتوته الأسفار من تشريعـات ووصايا وانذارات وترغيبات قد وجهت حصرا الى بنى اسرائيل • وهكذا يمكن أن يقال انه ليس لبنى اسرائيل رسالة انسانية ما • وكـل أمرهم أنانية شديدة وجافة وقاسية الى أبعد حدود الشـدة والجفاف والقسوة على ما تثبته عليهم نصوص أسفارهم الصريحة• فى حين أن فيما أوحى الله بـه الى موسى من عقائد ووصايـا ومبادىء وتشريعات ما هو جدير بان يكون رسالة انسانية سامية وخالدة كما قلنا ذلك فى مناسبة سابقة •

وفى الاصحاحين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ترغيب وترهيب شديدان مماثلان فى مداهما لما جاء فى الاصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين أو الأحبار وأوردناه قبل فى حالة حفظ وصايا الرب ومخالفتها مع بعض اختلاف فى الصيغة واسهاب فى

الاصحاح الثامن والعشرين واقتضاب فى الاصحاح التاسع والعشرين مما يلمح فيه فيما نرى صورة أو أثر لحالة بنى اسرائيل وواقعهم بعد طروئهم على شرق الأردن وغربه بل وربما يلمح فى بعض العبارات أثر لما تعرضوا له من سبى وتشريد كما ترى فيما يلى اقتباسا من الاصحاح الثامن والعشرين : « اذا أطعت أمر الرب الهك حافظا جميع وصاياه يجعلك الرب فوق جميع أمم الأرض وتحل عليك البركات • فتبارك فى المدينة وفى الصحراء ويبارك ثمر بطنك وثمر أرضك وثمر بهائمك• وتبارك فى دخولك وخروجك • ويجعل الرب أعداءك ساقطين أمامك يخرجون عليك من طريق واحدة ، ويهربون من وجهك من سبع طرق • ويقيمك الرب شعبا مقدسا كما أقسم لك • وان لم تطع كلام الرب ولم تحفظ وصاياه ورسومه تأتى عليك اللعنات وتدركك فتكون ملعونا فى المدينة والصحراء • يكون ملعونا سلك ومعجنك وثمر بطنك وأرضك وبقرك وغنمك • يبعث عليك الرب اللعنة والدهش والوبال فى جميع ما تمتد اليه يدك ويبيدك سريعا • يلزمك الوباء الى أن يستأصلك بضربك بالسل والحمى والجرداء والذبول حتى يفنيك • تكون سماؤك نحاسا وأرضك حديدا ــ كناية عن انقطاع المطر والجدب ــ يجعلك الرب ساقطا أمام أعدائك • يضربك بقروع مصر والبواسير والجرب والحكة والجنون والعمى ، تكون مظلوما مغصوبا طول أيامك وليس لك

منقذ • تتزوج امرأة فيطؤها آخر وتبنى بيتا فلا تسكنه وتغرس كرما فلا تستغله • وبنوك وبناتك يسلمون الى قوم آخريـــن وعيناك تنظر اليهم • يجلبك الرب أنت وملكك الذى تقيمه الى قوم لم تعرفهم وتعبد هناك آلهة غريبة من خشب وحجارة وتصير خرابا وأحدوثة فى جميع الأمم • يستعلى عليك الغريب الذى فيما بينكم • تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك ويضعون نيرا من حديد على عنقك • يسوق الرب عليك أمـــة من أقاصى الأرض كالنسر الخافق صلبة الوجوه لا تهاب وجه شـــيخ ولا تشفق على طفل • تحاصرك فى جميع مدنك حتى تسقط أسوارك الشامخة الحصينة » •

وفى الاصحاح الثلاثين تأميل عجيب فى حالة عـــودة بنى اسرائيل الى ربهم حيث يعدهم الرب باعادتهم من جلائهم وجمع شملهم من بين جميع الأمم الى الأرض التى امتلـــكها آباؤهم ويحسن اليهم ويسنيهم أكثر من آبائهم ويصرف عنهم اللعنات الى أعدائهم ومبغضيهم ومضطهديهم ويزيدهم خيرا فى جميع أعمالهم وفى ثمر بطونهم وبهائمهم وأرضهم •

وفى هذا وذاك أثر لواقع وحالة وسيرة بنى اسرائيل بعـــد طروئهم على أرض كنعان وما تعرضوا له من غزوات وما حـــل فيهم من نكال وتشتيت كما هو المتبادر •

كما فيهما وخاصة فيما احتواه الاصحاح الثلاثون من تأميل

أثر لفكرة الاختصاص والتأييد الرباني لبني اسرائيل على كل حال مما هو من أسباب ومظاهر عقدتهم النفسية .

وفي الاصحاح الحادي والثلاثين وصية موسى ليوشع الذي صار بأمر الرب وكيلا على بني اسرائيل بعده يذكر فيها أنه قد شاخ وبلغ عمره مائة وعشرين عاما ولم يعد يستطيع خروجا ودخولا كما أن الرب منعه من عبور الأردن ويؤمل فيها بتأييد الرب وعدم تركه اياه حينما يتقدم لدخول أرض كنعان ويحذره من الذعر والخوف . وفيه كذلك خبر كتابة موسى التوراة وتسليمها الى الكهنة بني لاوي حاملي التابوت وسائر شيوخ اسرائيل وأمره لهم بجمع الشعب رجالا ونساء وأطفالا وغرباء لتتلى عليهم ليتقوا الرب ويعملوا بموجبها ثم خبر أمر الرب لموسى باحضار يوشع الى الخباء يسمع وصية الرب لأنه قد دنا أجله ، وقول الرب لموسى انك مضطجع مع آبائك وان هذا الشعب سيفجرون باتباع آلهة الأجانب في الأرض التي هم داخلوها وسيتركونني وينقضون عهدي فيشتد غضبي عليهم وأتركهم وأحجب وجهي عنهم فيصيرون مأكلا وتصيبهم الشرور والشدائد ثم املائه على موسى ويوشع نشيدا حينما يدخلون الأرض التي تدر لبنا وعسلا فيأكلون ويشبعون ويسمنون ثم يميلون الى آلهة أخرى ويعبدونها ويصيبهم ما أوعدهم به الرب من الشرور والشدائد ، وكتابة موسى النشيد في سفر التوراة الذي كتبه

وتلقينه لبنى اسرائيل وتسليمه السفر الى اللاويين ، وأمرهم بجمع شيوخ الأسباط والعرفاء حتى يتلى عليهم ويشهد عليهم السماء والأرض لأنه يعلم أنهم بعد موته سيفسدون ويعدلون عن الطريق التى سنها لهم فيستخطون الرب ويصيبهم الشر .

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين دعوة الى تعظيم الاله وكلته وعدله وتنديد بالفساد وبالشعب الذى يكافىء الرب بالفساد وتذكير بما كان من عناية الرب باسرائيل ، يعقوب وبنيه وجعله الأرض ميراثا لهم ، واسخاط بنى اسرائيل لربهم بعد سمن واكتساء شحم وميلهم الى آلهة الأجانب وذبحهم الشياطين ولآلهة لم يعرفها آباؤهم وتوقد غضب الرب عليهم .. وصيغة الاصحاح قد تدل على أنه النشيد الذى ذكر فى الاصحاح السابق ولو لم يرد فيه ذلك صراحة .

ويبدأ الاصحاح الثالث والثلاثون بهذه العبارة « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى بنى اسرائيل قبل موته » ثم يأخذ يذكر دعاء موسى لكل سبط باسم أبيه الأول بدعاء متنوع ، وتمنيه لهم بالأمانى وذكر مزاياهم ، ثم ينتهى بهذه العبارة « طوبى لك يا اسرائيل . من مثلك شعب منصور بالرب . هو ترس عونك وسيف عظمتك لك تخضع أعداؤك وأنت تطأ مشارفهم » مما يمت الى فكرة الاختصاص والتميز التى ظلت تسيطر على بنى اسرائيل وتنظم سيرتهم .

وفى الاصحاح الرابع والثلاثين وهو الأخير خبـــر صعود موسى من صحراء مؤاب الى جبل نبو واراءة الرب له جميـــع الأرض من جلعاد الى دان وجميع نفتالى وأرض افرائيم ومنسى وجميع أراضى يهوذا الى البحر الغربى والجنوب والمرج وبقعـــة أريحا مدينة النخل الى مدينة صوعر قائلا له : هذه هى الأرض التى أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب بأن أعطيها لنسلهم تراها ولا تعبر اليها ، ثم خبر موت موسى هناك ودفنه فى الــوادى فى أرض مؤاب تجاه بيت فغور . ثم قال الاصحاح « ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا » .

والعبارة الأخيرة خاصة تدل بالاضافة الى قرائن كثـيرة فى ثنايا الاصحاحات على أن السفر قد دون أو أعيد تدوينه فى عهد متأخر جدا بعد موسى وبعد دخول بنى اسرائيل لأرض كنعــان بأمد طويل بل وربما بعد جلائهم عنها وعودتهم اليها ، وفى هــذا تأييد لما قلناه غير مرة ان كثيرا مما احتواه السفر ، وغيره مــن الأسفار ــ لأنها دونت متأخرة هى الأخرى ــ قد تأثر بما جرى لبنى اسرائيل من أحداث ووقائع بعد طروئهم على أرض كنعان .

زحف بنى اسرائيل على غرب الاردن

وسيرتهم فيه بقيادة يشوع

- ١ -

ان قصة زحف بنى اسرائيل على غرب الأردن الذى هو أرض كنعان على ما تفيده عبارة الأسفار وسيرتهم فيه بقيادة يشوع وفى ظل وتوجيه الخطة الرهيبة العدوانية التى ذكرناها قبل قليل مذكورتان فى سفر يشوع الذى يأتى فى الترتيب بعد سفر التثنية .

وهو أربعة وعشرون اصحاحا فى ثلاث واربعين صفحة . وفيه هو الآخر كثير من المبالغة والخيال بل والتناقض ولكن فيه شيئا كثيرا من الحقيقة فيما نرجح . وعبارته تدل على أنه كتب بعد يوشع بمدة ما قد تكون طويلة ؛ فشيبت الروايات المتداولة بالخيال والمبالغة والتناقض نتيجة لذلك .

ويحكى اصحاحه الأول خطاب الرب ليشوع وأمره بعبور الأرض التى أعطاها لبنى اسرائيل ووعده له بالتأييد وحثه اياه على الشجاعة والتمسك بالشريعة . ومما قاله له الرب كما جاء

فيه « كل مكان تطؤه أخامص أرجلكم أعطيته لكم كما قلت لموسى من البرية ولبنان ، هذا الى النهر الكبير نهر الفرات والى البحر الكبير الذى فى جهة مغارب الشمس تكون تخومكم» فى حين أن الموقف كان عبور الأردن الى ضفته الغربية بحيث يمكن أن يقال ان هذا التوسع فى التحديد متأثر بما كان من وقائع متأخرة .

وقد حكى الاصحاح أن يوشع طلب من أسباط جاد وراؤبين ومنسى الذين ورثوا الأراضى المفتوحة فى شرق الأردن الاستعداد لمساعدة اخوانهم فى العبور الى غرب الاردن واحتلاله حسب الاتفاق بينهم وبين موسى فلبوا الطلب .

وكانت أولى حركات يوشع نحو مدينة أريحا التى هى أولى مدن الضفة الغربية . وقد حكت الاصحاحات من الثانى الى السادس من السفر تفصيل هذه الحركات الذى شابه كثير من الخيال ، وخلاصته أن يوشع أرسل جاسوسين الى المدينة فنزلا فى بيت بغى اسمها راحاب وبيتها ملاصق للسور فعلما منها أن الذعر استولى على الناس من أخبار بنى اسرائيل ثم سهلت لهما الفرار فعادا وأعلما يوشع بما علما فتشجع وأمر بعبور النهر فى موكب دينى خاشع فجمد الماء تحت اقدامهم ثم وقف الموكب أمام الأسوار المقفلة ، وطاف حولها بأمر الرب سبعة أيام وفى كل يوم سبعة أطواف وهو يهتف بالرب وينفخ بالأبواق وفى اليوم السابع سقطت الأسوار بمعجزة ربانية فدخل بنو اسرائيل المدينة

واستولوا عليها ، وقد نذر يشوع أن تكون المدينة وما فيها مبسلة للرب أى مبادة مدمرة لوجه الله سبحانه وتعالى باستثناء الذهب والفضة والنحاس والحديد لخزانة الرب ، والبغى وأهلها ومالها لأن الجاسوسين وعداها بالنجاة وحلفا لها ، وحظر أخذ شيء منها غنيمة ، فلما دخلوها قتلوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير وأحرقوها كما أمر يشوع باستثناء المعادن والبغى وأهلها ، ثم دعا يشوع بعد ذلك قائلا ملعون لدى الرب الرجل الذى ينهض ويبنى هذه المدينة !

وكانت حركة يوشع الثانية نحو مدينة العى التى كانت من منازل ابراهيم على ما ذكره الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين والتى هى فى طريق نابلس ــ القدس من ناحية الشرق الموالية لغور أريحا .

وقد قص الاصحاحان السابع والثامن قصة استيلاء بنى اسرائيل على هذه المدينة بما خلاصته ان يوشع أرسل من تجسسوا عليها فرجعوا وهونوا من شأنها وارتأوا أن يصعد اليها عدد قليل فصعد ثلاثة آلاف فخرج عليهم أهل المدينة وهزموهم وقتلوا منهم فذاب قلب الشعب ــ بنو اسرائيل ــ وصار كالماء وحثا شيوخهم التراب على رءوسهم ومزق يوشع ثيابه وسقط على وجهه وخاطب الرب قائلا : « لماذا أجزت هذا لشعب الأردن

لتسلمنا الى أيدى الأموريين حتى يبيدونا • يا ليتنا ارتضينـــا وأقمنا بعبر الأردن • واذا سمع الكنعانيون وسكان الأرض بما صار أحاطوا بنا ومحوا اسمنا من الأرض » ! وهذا موقف تكرر كثيرا من بنى اسرائيل ازاء ما كان يقف أمامهم من عقبـات أو يلقونه من عنت ومقاومة كما كان شأنهم فى حياة موسى • وقد ذكر الاصحاح السابع أن الرب أخبر يشوع بانه انما خذلهم لأن أحدهم سرق من غنائم أريحا بعض سبائك من الذهب والفضـة فأمر برجمه • وحينئذ وعده بالنصر فأرسل جيشا عظيما مع ذلك من ثلاثين ألف محارب • وخرج ملك العى بجيشه لصدهم فوقع فى كمين ودارت عليه الدائرة بمعجزة ربانية فانهزم فطارده بنـو اسرائيل وقتلوا جميع رجاله وأسروه وصلبوه على باب المدينة ثم دخلوها وضربوها بحد السيف ، وكان عدد القتلـى من رجال ونساء (١٢٠٠٠) ثم أمر يشوع باحراق المدينة بعد أن استولى على جميع ما فيها من أموال ومواش حسب أمر الرب كذلك •

وقد ذكر الاصحاح التاسع بعد ذلك حادثا عجيبا خلاصته أن أهل مدن جبعون وكفره وبئروت وقرية يعاريم ــ وهذه فى منطقة نابلس على ما تدل عليه أسماء القرى التى تقوم مكانها اليوم ــ لما سمعوا بما حل باريحا والعى أرسلوا وفدا الى يوشع يعرضون ولاءهم ويطلبون عهد أمان ، وادعى الوفد أنه يتكلم باسم مـدن بعيدة جدا ولبس ثيابا بالية ونعالا مرقعة وحمل زادا يابســا

للتدليل على ذلك فأجابهم يوشع الى ما طلبوا لأن من مقتضى الخطة أن يقبلوا مسالمة المدن البعيدة جدا وحلف لهم رؤساء الجماعة • غير أنهم لم يلبثوا أن عرفوا أن هذه المدن قريبة جدا منهم وأن الوفد خدعهم ولما كانوا قد حلفوا لهم فاكتفوا بأن قرروا أن يكون أهلها محتطبي حطب ومستقي ماء للجماعة ولمذبح الرب فى الموضع الذى يختارونه !

- ٢ -

وحكى الاصحاح العاشر أن ملك أورشليم أدونى صادق لما رأى ما فعل بنو اسرائيل فى أريحا والعى ورأى ما كان من خوف أهل جبعون ورفاقهم مع أن مدينتهم كانت عظيمة ورجالهم جبابرة خشى من عاقبة روح الهزيمة فاستدعى هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموث ويافيع ملك لاكيش ودبير ملك عجلون — والملوك الخمسة ، أموريون كما وصفهم الاصحاح — وعرض عليهم التحالف ضد جبعون فوافقوا وزحفوا عليها فأرسل أهلها يستنجدون ببنى اسرائيل فزحف يشوع على رأس المحاربين واشتبك مع الملوك وهزم قواتهم بعد أن قتل منها عددا كبيرا وأسر الملوك الخمسة وشنقهم • وهذه الواقعة هى التى زعم الاصحاح المذكور أن الشمس وقفت بدعوة يشوع حتى تم له

النصر • ثم ذكر الاصحاح أن يشوع فتح مدينة مقيدة فى هــذه الرحلة وقتل ملكها وجميع سكانها حتى لم يبق منهم باقية ، وفعل مثل ذلك بلبنة ثم بلاكيش • وصعد هورام ملك جازر لنصرتها فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبق منهم باقية ثم فعل مثــل ذلك بعجلون وحبرون ودبير واستولى على مدنهم وقراهم • وقد قال الاصحاح بعد ذلك وفى نهايته : ان يشوع ضرب جميــــع أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وجميع ملوكها وأبسل ـــ أهلك ـــ كل نسمة كما أمر الرب ولم يبق باقية منهم فضربهم من قادش برنيع الى غزة وانتصر عليهم لأن الرب كان يحارب مع اسرائيل •

وذكر الاصحاح الحادى عشر « ان يابين ملك حاصور لمــا سمع بما وقع أرسل الى يوباب ملك مادون والى ملك شمرون وملك أكشاف والملوك الذين الى الشمال فى الجبل وفى الغــور وفى السهل وفى بقاع دور غربا والى الكنعانيين شرقا وغربا والى الأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين فى الجبل والحويين تحت حرمون فى أرض المصفاة • فخرجوا بكل جيوشهم فى خلق كثير مثل الرمل الذى على البحر كثرة وخيل ومراكب كثيرة جدا ونزلوا على مياه ميروم لمحاربة اسرائيل • وشجع الرب يشوع وقال له غدا أجعلهم صرعى أمام اسرائيل • فخرج يشوع بنــاء على ذلك فأسلمهم الرب الى أيديهم فضربوهم وتعقبوهم حتى لم

يبق منهم باق • وقد عرقب يشوع خيلهم وأحرق مراكبهم بالنار بناء على أمر الرب • ثم عاد وافتتح حاصور وقتل ملكها وكانت قديما رأس جميع تلك الممالك • وقتل كل نفس فيها وأحرقها بالنار • وأخذ كل مدائن أولئك الملوك مع ملوكها وضربهم وأبادهم كما أمر موسى • وقد أخذ بنو اسرائيل جميع غنائم هذه المدن وبهائمها •

وهكذا ملك يشوع تلك الأراضى كلها ؛ الجبل وكل الجنوب وجميع أرض جوشن والسهل والغور وجبل اسرائيل وسهلهم من الجبل الأملس الممتد جهة سعير الى بعل جاد فى بقعة لبنان تحت جبل حرمون ولم تسالم اسرائيل الا جبعون • وقد قسى الرب قلوب الباقين حتى يبسلهم بنو اسرائيل ويستأصلوهم • وجاء يشوع فى ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ودبير وعناب ومن ساتر جبل يهوذا وجميع جبل اسرائيل ولم يبق عناقى الا فى غزة وجت وأشدود •

والمبالغة بادية فيما ذكرته الاصحاحات • وفى سفر القضاة نصوص تنقض كثيرا من ذلك حيث ذكرت حوادث حرب ونضال وقعت بعد يشوع بين بنى اسرائيل وغير واحد من الملوك والمدن والشعوب التى قالت الاصحاحات ان يشوع أبادها وأحرقها ولم يبق منها بقية •

والمتبادر أن السفر قد دون بعد يشوع بمدة غير قصيرة خلط

كاتبه الحقائق بالخيال والمبالغة ويلحظ أن الاصحاحات سمت بعض المواقع باسم جبل اسرائيل وسهلهم وباسم جبل يهوذا مع أن هذه المواقع لم تكن تسمى بهذه الأسماء حتما حين الاستيلاء عليها حيث يؤيد هذا أن السفر قد دون كما قلنا بعد يشوع بمدة غير قصيرة وحينما صارت هذه المواقع بهذه الأسماء ..

- ٣ -

وقد ذكر الاصحاح الثالث عشر أن يوشع هتف لربه قائلا : انه شاخ وانه بقى أرض كثيرة جدا للامتلاك وهى كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين من الشيجور الجارى فى مصر الى تخم عقرون شمالا وهى للكنعانيين وأرض أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودى ـ أسدود اليوم ـ ولاشقلونى ـ عسقلان اليوم ـ والحبتى والعقرونى وأرض العويين من الجنوب كل أرض الكنعانيين ومعاره التى للعيدونيين الى أفيق تخم الأموريين وأرض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت حرمون الى مدخل حماة وأن الرب وعده بأنه سيطردهم من وجه بنى اسرائيل ثم أمره بقسمة الأرض على الأسباط التسعة والنصف .

والعبارة تفيد أن فى ذلك الاجمال الذى ورد فى الاصحاح

الحادى عشر شيئا من المبالغة والتزيد لأن مواقع عديدة من التى ذكر الاجمال انها دخلت فى حياز اسرائيل بقيادة يشوع قد ذكرت ضمن هذه المواقع على ما يظهر من المقابلة • وهذا بالاضافة الى ما كان من واقع بقاء كثير من الأقوام والممالك والمدن التى ظلت ممتنعة عليهم، فى غربى فلسطين وشمالها وجنوبها وما كان من واقع التصاول بينهم وبين بنى اسرائيل فى عهد القضاة ومن جملة ذلك ممالك وملوك ودول ذكر سفر يشوع أنها مما استولى عليه بنو اسرائيل وأبادوه ، وما كان من تقريرات سفر القضاة كذلك ببقاء كثير من الأمم بين ظهرانى بنى اسرائيل فى المناطق والمدن التى استولوا عليها على ما سوف نذكره بعد •

وقد قسم يشوع المدن والقرى على الأسباط التسعة والنصف بالقرعة • واحتوت الاصحاحات من الثالث عشر الى التاسع عشر أسماء المدن والحدود التى كانت من نصيب كل سبط •

والمدن كثيرة جدا وقد ذكر أنه كان لكل مدينة قرى كثيرة تابعة لها حيث يدل هذا على ما كان من ضخامة العمران فى غرب الأردن وازدهاره وعلى أن بنى اسرائيل انما عاشوا عليه • واليك ثبتا بأسماء المدن مصداقا لذلك : قبصئيل ـ عبدر ـ ياجور ـ فينه ـ ديمونه ـ عدعده ـ قادش ـ حاصور ـ ثينان ـ زيف ـ طالم ـ بعلوت ـ حاصور الحديثة ـ قريوت ـ حصرون ـ امام ـ شماع ـ مولاده ـ حصر جده ـ حشمون ـ بيت فالط

ـ حصر شوعال ـ بئر سبع ـ بزبوتيه ـ لباؤوت ـ شلحيم ـ ـ عين ـ رمون ـ اشتاؤل ـ صرعه ـ أشنه ـ زانوح ـ عين جنيم ـ تفوح ـ عينام ـ يرموث ـ عدلام ـ سوكو ـ عزيقه ـ شعرائيم ـ عدتيائيم ـ جديرة ـ جدير ـ تائيم ـ صنان ـ حداشه ـ مجدل جاد ـ دلعان ـ المصفاة ـ يقتبيل ـ لاكيش ـ بصقة ـ عجلون ـ كبون ـ لحمام ـ كتليش ـ جديروت ـ بيت داجون ـ نعمه ـ مقيده ـ لبنه ـ عاتر ـ عاشان ـ يفتاح ـ اشنه ـ نصيب ـ قعيلة ـ اكزيب ـ مريشه ـ عقـرون ـ أشدود ـ غزة ـ شامير ـ يتير ـ سوكو ـ دنه ـ سـنه ـ عناب ـ اشتمو ـ عانيم ـ جوشن ـ حولون ـ جيلو ـ أراب ـ دوته ـ أشعان ـ ينوم ـ بيت تفوح ـ أفيته ـ حمطه ـ أربع ـ سيعور ـ معون ـ كرمل ـ زيف ـ يوطه ـ يزرعيل ـ يقدعام ـ زانوح ـ القاين ـ جبعه ـ تمنه ـ حلحـول ـ بيت صور ـ جدور ـ معرات ـ بيت عنوت ـ تقون ـ بعـل اديعاريم ـ الربه ـ بيت العربة ـ مدين ـ سكاكه ـ نبشـاه ـ مدينة الملح ـ عين جدى ـ اريحا ـ لـوز ـ عطاروت ـ بيت حورون ـ وجملتها نيف ومائة وعشرون مدينة وربما كان عدد القرى التابعة لها ألفا أو نحو ذلك . وكثير من أسماء المدن باق اليوم بشيء من التعديل ومطلق على قرى وخرائب فى مختلف أنحاء فلسطين . واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء ، مما

يؤكد أن منشئيها الأولين هم من الأرومات العربية على اختلاف أسمائها .

على أن عبارة الاصحاحات تفيد أن مناطق ومدنا كثيرة مما وقع فى أنصبة الأسباط التسعة والنصف لم تكن كلها مما استولى عليه بنو اسرائيل بقيادة يشوع حيث كان منها ما استولوا عليه وكان منها ما ظل فى حوزة أهله فى حياة يشوع ولم يستول عليه بنو اسرائيل الا بعده ، بل ومنها ما لم يستول عليه بنو اسرائيل ويصبح لهم موطنا مستقرا قط كبلاد الفلسطينيين فى الجنوب .

- ٤ -

ومما ذكره الاصحاح الثامن عشر أن جماعة اسرائيل التأمت فى شيلو التى يخمن مفسرو الأسفار أنها مكان الخربة المسماة اليوم باسم سيلون أو سلوان الواقعة على اثنى عشر ميلا من جنوب نابلس ونصبوا خباء المحضر فيها حيث أصبح هذا الموقع كما يبدو من العبارة عاصمتهم الدينية والمدنية فى حقبتهم الأولى .

ثم ذكر الاصحاح العشرون أن بنى اسرائيل قدسوا ست مدن لتكون مدن ملجأ حسب الشريعة ، يهرب اليها القاتل الى أن يحاكم أو الى أن يموت الكاهن الأعظم الذى وقع القتل فى حياته اذا كان القتل خطأ ، بأمر يشوع استنادا الى أمر الرب ، وهى

قادش فى الجليل فى جبل نفتالى وشكيم فى جبل افرائيم وقرية أربع وهى حبرون فى جبل يهوذا فى غرب الأردن وباصر فى البرية وراموت فى حليعات وباشان فى شرق الأردن • وعبارة الأسماء تدل على أن السفر كتب بعد يوشع بمدة ما لأن بعضها سمى بأسماء اسرائيلية نتيجة للقسمة •

ثم ذكر الاصحاح الحادى والعشرون خبر طلب اللاويين تخصيص مدن لهم يسكنونها مع مجاجرها لبهائمهم حسب أمر ورد فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر العدد فتخلى كل سبط من الأسباط عن بعض المدن التى كانت من نصيبه فوزعها يوشع بالقرعة على عشائر اللاويين وكانت ثمانى وأربعين مدينة موزعة فى مختلف أنحاء الأرض •

ثم صرف يوشع أسباط راؤبين وجاد ونصف منسى الى أملاكهم فى شرق الأردن بعد أن تمت الحركات التى أمكن القيام بها فى أرض كنعان وتمكن الأسباط من امتلاك ما امتلكوه منها بعد ما باركهم ووصاهم وتمنى لهم النمو والكثرة على ما ذكره الاصحاح الثانى والعشرون • وقد أخذوا معهم نصيبهم من غنائم أرض كنعان وكان مقادير كبيرة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والنبات •

ومما ذكره هذا الاصحاح أن الأسباط الثلاثة المذكورة انشأت بعد عودتها مذبحا عظيم المنظر على الأردن قبالة أرض

كنعان فاستاء بقية الأسباط فى هذه الأرض من ذلك واجتمعوا فى شيلو ليصعدوا ويقاتلوهم لأنهم اعتبروا عملهم زيغا وتمردا على ذلك وانقساما دينيا • ثم أرسلوا اليهم وفدا ينذهم ويحذرهم ، وقد أكد الأسباط الثلاثة للوفد حسن نيتهم وتنصلوا من الزيغ والتمرد وقالوا انهم انما أقاموا المذبح ليكون شـــاهدا بـين الفريقين على وحدة التقاليد والعقائد لئلا ينـــكر أحفـاد بنى اسرائيل فى أرض كنعان على أحفادهم نصيبهم من الرب ويقولوا مالكم وللرب وهو اله اسرائيل وقد جعل الرب فاصلا الأردن بيننا وبينكم فاقتنع الوفد بحسن نيتهم ، ويدل هذا الحادث على أن فكرة الاختصاص قد خوفت بدورها أقلية بنى اسرائيل أنفسهم من أكثريتهم !

وفى الاصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين أن يوشع جمع شيوخ بنى اسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم وذكرهم بما كان من عناية الرب بهم وقرضه لأعدائهم واسكانهم فى أرضهم مع ما هم عليه من قوة وكثرة لأن الرب هو الذى كان يحاسـب عنهم ؛ ووصاهم بالتمسك الشديد بكل ما فى توراة موسى ومن ذلك عدم الاختلاط بالأمم الباقية معهم وذكر آلهتها والسجود لها، وأنذرهم بوخيم العواقب ونكال الرب اذا هم فعلـــوا ، وأن الشعب وعده بذلك فأشهدهم على أنفسهم وسجل عهدهـم فى سفر التوراة وأخذ حجرا كبيرا فأقامه تحت البلوطة التى عنـد

مقدس الرب ليكون شاهدا عليهم . ثم ذكر الاصحاح الرابع والعشرون بعد ذلك خبر موت يوشع بعد أن بلغ مائة وعشر سنين ودفنه فى أرض ميراثه فى تمنة سارع التى فى جبل افرائيم — قرب نابلس اليوم — ثم خبر دفن عظام يوسف فى شكيم — نابلس أيضا .

عهد القضاة

- ١ -

أعقب موت يشوع عهد عرف بعهد القضاة لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني اسرائيل بعد يشوع سموا « قضاة » .

ويحكى سيرة هذا العهد سفر القضاة وبعض اصحاحات من سفر صموئيل الأول الذى تسميه النسخة الكاثوليكية الملوك الأول .

وسفر القضاة يأتى بعد سفر يشوع مباشرة . وهو واحد وعشرون فصلا فى اثنتين وأربعين صفحة . وفيه هو الآخر كثير من الخيال والمبالغة والتناقض مع كثير من الحقائق أيضا فيما نرجح .

ولا يعرف متى كتب . ولكنه كتب على كلّ حالَ بعد عهد القضاة بأمد ما قد يكون طويلا فكان ذلك سبب اختلاط الحقائق بالخيال والمبالغة والتناقض .

وحساب السفر يجعل حقبة القضاة نحو أربعمائة سنة (١) مع أنها قد لا تزيد على المائة اذا ما لاحظنا أن الملك الرسمى لبنى اسرائيل قام فى أواسط القرن الحادى عشر (حوالى ١٠٣٠) وان بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى أواخر القرن الثالث عشر (حوالى ١٢١٠) وأن زعامة موسى ويشوع من بعده استمرت نحو ثمانين سنة . وهذا الرقم من مبالغات السفر شأنه شأن الأسفار الأخرى فى الأرقام .

- ٢ -

ولقد احتوى السفر تفاصيل كثيرة عن حقبة عهد القضاة يستفاد منها أن بنى اسرائيل حاربوا بعض الذين ظلوا أصحاب اليد فى مدنهم ومناطقهم فى غرب الأردن ونجحوا فى بعض حروبهم وأنهم تعرضوا لغارات وغزوات وازعاجات كثيرة من داخل

---

(١) مما ذكره الاصحاح ان ملك ارام غزاهم فاستعبدهم ثمانى سنين ثم خلصوا فاستراحوا اربعين سنة ثم استعبدهم ملك عجلون ثمان عشرة سنة ثم خلصوا منه فاستراحوا ثمانين سنة ثم استعبدهم ملك حاسور ثمان عشرة سنة ثم اهل مدين والشرق سبع سنين وحكمهم جدعون الذى خلصهم من المدينيين اربعين سنة وابنه أبيمالك ثلاث سنوات ثم قضى لهم تولع القاضى ثلاثا وعشرين سنة ويائين اثنتين وعشرين سنة بعد جدعون وابنه واستعبدهم بعدهما العمونيون ثمان عشرة سنة وقضى لهم يفتاح الذى خلصهم ست سنوات ثم قضى لهم بعده ابصان سبع سنوات وايلون عشر سنوات وجدون ثمان سنوات ثم استعبدهم الفلسطينيون اربعين سنة .

الأرض ومن خارجها وأنهم كانوا ينحرفون انحرافات دينيـــة وخلقية واجتماعية عزا السفر اليها تسليط الرب عليهم المغيرين والغزاة والمزعجين .

والمستفاد من اصحاحات السفر منذ أوائلها أن انحرافات بنى اسرائيل كانت عقب موت يوشع ودخولهم فى حقبة عهد القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذى أخذه عليهم يوشع وسجاه فى التوراة على ما حكاه آخر اصحاحات سفر يوشع ، ممـــا كان دأبهم منذ خروجهم من مصر ، ومما يدل على ضعف صلابتهـم ومقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم على عدم مبالاتهم بزواجر الله ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهـم المشددة المتكررة .

وقد ذكر الاصحاح الأول أن سبط يهوذا بالتضامن مـــع سبط شمعون نشط لمحاربة الكنعانيين الذين ظلوا مقيمـين أو أصحاب يد فى بعض ألأقسام التى كانت فى قسمهم حسب تقسيم يشوع ، وأنهم ضربوا الكنعانيين والفرزيين فى بازق وقتلوا منهم عشرة آلاف وأسروا ملك بازق وقطعوا أباهم يديه ورجليه وأتوا به الى أورشليم حيث مات فيها ، ثم حاربوا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأحرقوها بالنار ، ثم حاربوا الكنعانيين فى أربع وضربوا شيشاى واحيمان وتلمان ــ وهــذه الطوائف الثلاث من طوائف العناقيين على ما ذكر فى سفر الخروج ــ ثم

زحفوا على دبير فاستولوا عليها ، ثم انطلقوا فضربوا الكنعانيين في صفات ودمروا المدينة ، ثم زحفوا على غزة وأشقلون وعقرون فاستولوا عليها مع توابعها ، وأن سبط يوسف صعدوا الى بيت ايل التي كانت تسمى لوز واستولوا عليها بحد السيف .

وقد ذكر هذا الاصحاح أن بنيامين لم يطردوا اليبوسيين المقيمين في أورشليم فعاشوا معهم ، وأن منسى لم يطردوا أهل بيت شان وتوابعها وأهل تعنك وتوابعها وأهل مجدو وتوابعها فعاشوا معهم ، وأن افرائيم لم يطردوا الكنعانيين المقيمين في جازا فعاشوا معهم ، وأن أشير لم يطردوا الكنعانيين المقيمين في عكا وأحلب وأوكزيب وصلبة ورحوب فعاشوا معهم ، وأن نفتالى لم يطردوا الكنعانيين في بيت شمس وبيت عنات فعاشوا معهم ، وكل ما كان من أمر انهم ضربوا عليهم الجزية ، وأن الأموريين حصروا بني دان في الجبل ولم يفسحوا لهم المجال للنزول الى الوادي .

وهذا وذاك ينقض كثيرا مما جاء في سفر يشوع على ما نبهنا عليه حيث يفيد أن دبير وأورشليم ولوز وأربع لم تكن في يد اسرائيل في حياة يشوع ، وأن يشوع لم يقرض طوائف العناقيين شيشاى واحيمان وتلمان ، وأن سكان كثير من البلاد والمدن التي استولى عليها لم يبيدوا كما زعم سفر يشوع وأن تقسيم

البلاد الذى جرى فى عهد يشوع كان شاملا لما وقع فى أيديهم وما لم يقع .

- ٣ -

والاصحاح الثانى عرض اجمالى لسيرة بنى اسرائيل فى حقبة عهد القضاة . وقد بدأ بحكاية خطاب ملاك الرب الذى قال : انه صعد من الجلجال الى موضع الباكيه لبنى اسرائيل مذكرا اياهم بما كان من تأييد الرب لهم ووصاياه بعدم معاهدة أهل الأرض ثم يأخذ بالتنديد بهم لعدم سماعهم وصاياه وبمعاقبتهم على ذلك بعدم طرد أهل الأرض وابقائهم ليضايقوهم وتكون آلهتهم شركا لهم ، وذكر الاصحاح بعد ذلك بما كان من اخلاص الشعب فى أيام يشوع ثم قال « ونشأ من بعدهم جيل آخر لا يعرف الرب ولا ما صنع لاسرائيل . ففعل بنو اسرائيل الشر فى عين الرب وعبدوا البعليم . وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأسخطوا الرب. وتركوا الرب وعبدوا البعل والعشتاروت. فغضب الرب على اسرائيل فدفعهم الى أيدى المنتهبين فانتهبوهم وباعهم الى أيدى أعدائهم الذين حولهم ولم يقدروا بعد أن يثبتوا فى وجوه أعدائهم . فكانوا حيثما خرجوا تكون يد الرب

عليهم للشر كما قال الرب وكما أقسم فضاق بهم الأمر جـدا • فأقام الرب عليهم قضاة فخلصوهم من أيدى المنتهبين • ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل فجروا باقتفائهم آلهة أخر وسجدوا لهـا ولم يلبثوا أن حادوا عن الطريق التى سلكها آباؤهم على طاعة وصايا الرب ولم يصنعوا مثلهم • فلما أقام عليهم قضاة كان الرب مع القاضى فكان يخلصهم من أيدى أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب رحم أنينهم من ظالميهم ومضايقيهم • واذا مات القاضى كانوا يرجعون الى الفساد أكثر من آبائهم باتباعهم آلهة أخر ليعبدوها ويسجدوا لها ولم يحيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم • فاشتد غضب الرب على اسرائيل • وقال «بما أن هذه الأمـة قد تعدت عهدى الذى أمرت به آباءهم ولم تسمع لصوتى فـلا أعود أنا أيضا أطرد واحدا من أمامها من الأمم التى تركهـا يشوع عند وفاته لامتحن بها اسرائيل هل يحفظون طريق الرب ويسلكون فيها كما حفظها آباؤهم أم لا ؟ فترك الرب تلك الأمم ولم يطردها سريعا ولم يسلمها الى يد يشوع (١) » •

ولقد أخذ الاصحاح الثالث وما بعده يذكر ما كان يطرأ على بنى اسرائيل من غارات وغزوات وما كان من تسلط المغيريـن والغزاة عليهم واعناتهم لهم ؛ فكأن ما جاء فى الاصحاح الثـانى من التنديد والتذكير قد جاء بمثابة تعليل لذلك • وهذا هـو

---

(١) الطبعة الكاثوليكية •

أسلوب الأسفار حيث تربط بين ما يقع على بنى اسرائيل من بلاء خارجي وداخلي وبين مخالفاتهم لوصايا الرب وشرائعه التى منها ما فيه ظلم وقسوة لغيرهم تعالى الله عنه • والمتبادر أنه أسلوب متأثر فى الدرجة الأولى بالوقائع •

وقد بدأ هذا الاصحاح بذكر الأمم الذين تركهـم الرب لامتحان بنى اسرائيل • وهم خمسـة أقطاب الفلسطينيين ـ والمقصود على الأرجح الغزى والأشقلونى والجبتى والعقـرونى والاسدودى لانهم وصفوا بهذا الوصف فى عبارة سابقة أوردناها قبل ـ وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماة ، وذلك بالاضافة الى الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين واليبوسيين الذيـن أقاموا مع بنى اسرائيل والذين تزوج بنو اسرائيل بناتهم وأعطوهم بناتهم وعبدوا آلهتهم ونسوا الرب وعبدوا البعليم وعشـتروث كما جاء فى عبارة الاصحاح ، حيث يفيد هذا أن سـكان أرض كنعان القدماء ظلوا محتفظين بمراكزهم وكيانهم خلافا لما زعمـه سفر يشوع ، وأنهم كانوا مع أهل البلاد المجاورة لأرض كنعان ـ غرب الأردن ـ يتربصون ببنى اسرائيـل ويجمعون على الوقوف منهم موقف العداء والتجهم ، وأنهم كانوا الى هـذا أصحاب تأثير دينى واجتماعى قوى فيهم •

- ٤ -

وكان أول من غزا بنى اسرائيل فى الحقبة عقابا لهم على مـ
جاء فى هذا الاصحاح شنعائيم ملك آرام النهرين فاستعبدهم
ثمانى سنين • وكان خلاصهم منه على يد عتنئيل ابن قناز أخو
كالب الأصفر • وكالب هذا كان أول قضاتهم بعد موت يوشع •

وكان ثانى من غزاهم حجلون ملك مؤاب حيث جمع عليهم
بنى عمون والعماليق وضربهم واستعبدهم ثمانى عشرة سنة
على ما ذكره الاصحاح نفسه الذى ذكر أن ذلك كان عقابا لهم
لعودتهم الى الشر والفساد بعد موت مخلصهم الأول • وكان
خلاصهم على يد أهود بن جيرا الذى تمكن من اغتيال ملك
مؤاب فى غرفة نومه وقد قص الاصحاح ذلك فى سياق فيه كثير
من الخيال وذكر فيه فيما ذكر أن أهودا قاد بعد ذلك بنى اسرائيل
وحارب المؤابيين وانتصر عليهم وقتل منهم عشرة آلاف محارب
شجاع • فذل المؤابيون فى ذلك اليوم تحت يد بنى اسرائيل •

وبعد هذا قام زعيم اسمه شمجر بن عنات وخلص اسرائيل
من أهل فلسطين حيث قتل منهم ستمائة رجل بمنساس البقر ـ
اسم المكان على الأرجح ـ حيث يفيد هذا الخبر الذى ورد فى
نفس الاصحاح بهذه العبارة المقتضبة ان الغارة الثالثة كانت
من ناحية الفلسطينيين الذين كانت منازلهم فى الجنوب •

وفى الاصحاحين الرابع والخامس قصة تسلط يابين ملـــك حاصور الكنعانى على بنى اسرائيل بعد موت آهود حيث عادوا الى صنع الشر فباعهم له حسب عبارة الاصحاح ، وكان اسـم قائده الذى قهرهم سيسرا وكان له تسعمائة مركبة من حديـــد فخضعوا لهذا الملك عشرين سنة ، وكان خلاصهم على يد باراق ابن أبينوعم بأمر النبية ديورة حيث زحف على رأس قوات بنى اسرائيل على قوات سيسرا وتغلب عليها وأمعن فيها قتلا حتى لم يبق منها باق على زعم الاصحاح • وفر سيسرا ولكنه ما لبـث أن لقى حتفه هو الآخر ، فى سياق فيه كثير من الخيال •

ويلحظ أن سفر يشوع ذكر أن يشوع فتح حاصور وقتـلَ أهلها مع ملكها يابين ولم يبق منهم باق على ما أوردناه قبـل • وهكذا جاء هذا الخبر لينقض ذلك بالنسبة لمملكة حاصور وقوتها وان كان من المحتمل أن يكون اسم ملكها الذى تسلط على بنى اسرائيل فى هذا العهد غير الملك الأول وان كان على اسمه • وقد ذكر الخبر أن القتال كان فى منطقة جبل تابور • وهذا فى منطقـة الجليل فى شمال فلسطين والخبر يفيد أن مملكة حاصور كانـت قوية وأن سلطانها كان شاملا لمنطقة واسعة ، ولا يمكن الجـزم بما اذا كانت سيادة حاصور شملت جميع بنى اسرائيل فى جميع غرب الأردن أو القسم الشمالى منه والا كان الخبر يفيد الشمول أكثر •

وفى الاصحاح السادس خبر غارات المدينيين والعمالقة وبنى المشرق على سرائيل حيث دفعهم الرب الى أيديهم بسبب عودتهم الى الشر حسب عبارة الاصحاح • وقد قويت أيدى المغيرين عليهم حتى اضطروا الى ترك مدنهم وقراهم والالتجاء الى الكهوف والمغاور والحصون • وكانوا اذا زرعوا صعدوا عليهم فأفسدوا غلتهم الى مدخل غزة ولم يبقوا ميرة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا • وكانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويأتون كالجراد كثرة • فذلت اسرائيل ذلا عظيما لمدة سبع سنين • وكان خلاصهم على يد جدعون الذى كان أول ما فعله هدم مذبح البعل الذى أقامه أبوه ؛ والذى زحف على رأس الاسرائيليين واشتبك مع المدينيين والعمالقة وبنى المشرق الذين احتشدوا فى وادى يزرعيل وضربهم ضربة شديدة على ما ذكره الاصحاح السادس والسابع فى سياق طويل فيه كثير من الخيال واحتوى فيما احتواه خبر قتل ملكى مدين زاباح وصلمناع وقائديهما زيب وعوريب بعد كسر قواتهما وقتل عدد عظيم منهم قال الاصحاح — مبالغا على ما نرجح — ان عددهم بلغ مائة وعشرين ألف مخترط سيف •

وفى هذا الخبر نقض او انتقاص لما ذكره الاصحاح الحادى والثلاثون من سفر العدد من زحف بنى اسرائيل بأمر موسى على المديتيين واهلاكهم وتدمير مدنهم على ما أوردناه قبل • فليس

من المعقول أن يكون تم ذلك كما ذكر الاصحاح المذكور من سفر العدد ثم نما المدينيون وقووا حتى قدروا على غزو الاسرائيلين وازعاجهم الشديد بالشكل الذى وصفه الاصحاح السادس من سفر القضاة ، وعرض بنو اسرائيل على جدعون أن يحكمهم هو وأبناؤه من بعده . فحكمهم مدة أربعين سنة كما يقول الاصحاح . ولما مات عاد بنو اسرائيل الى الشر على ما ذكره الاصحاح الثامن واتبعوا البعليم واتخذوا لأنفسهم بعل بريت الها . وكان جدعون قد ترك سبعين ولدا لأنه تزوج وتسرى بعدد من النساء، وكان من بينهم واحداسمه أبيملك أمة سريةمن شكيم فاستعان بأهلها ليكون الحكم له دون اخوته فلبوا طلبه وأعطوه سبعين من الفضة أخذوها من بيت بعل بريت فاستأجر بها رجالا أشقياء وذهب على رأسهم الى بيت أبيه فى مدينة عفرة فقتل اخوته السبعين على صخرة واحدة . وهذا الحادث أفظع وأشمل حادث من نوعه فى التاريخ القديم . وقد نجا واحد منهم اسمه يوتام وهو أصغرهم فانطلق واختفى . وملك أبيملك ثلاث سنين ثم بعث الله روح الشر بينه وبين أهل شكيم ليرتد عليه ظلم قتل اخوته كما ذكر الاصحاح فغدروا به وأخذ ينشب بينه وبينهم قتال وأصابه فى سياق ذلك ضربة حجر كسرت بجمجمته وكان فيها هلاكه مما ذكره الاصحاح التاسع .

وقد ذكر الاصحاح العاشر أنه قام على قضاء بنى اسرائيل

بعده تولع بن فؤاة وبعد هذا يائير الجلعادى . وعاد بنواسرائيل بعد هذا الى فسادهم وانحرافهم فعبـــدوا البلعيم وعشتاروت وآلهة آرام وحيدون ومؤاب وبنى عمون والفلسطينيين على مـا ذكره الاصحاح العاشر حيث يدل هذا الوصف على أن كـــل جماعات بنى اسرائيل فى شرق الأردن وغربه زاغوا عن طريق الله واندمج كل منهم فى عبادة آلهة الشعوب التى حولهـم فـكان انهيارهم شاملا عجيبا .

وقد قال الاصحاح بعد هذا ان غضب الرب اشتد عليهـم وباعهم لبنى عمون فتغلبوا على الذين فى أرض الأموريين فى شرق الأردن من بنى اسرائيل ثم عبروا النهر وحاربوا أسباط يهـوذا وبنيامين وافرائيم وهم الساكنون فى المنطقة الجنوبية والوسطى من غرب الأردن وضيقوا عليهم الخناق . وكان خلاصهـم على يد زعيم اسمه يفتاح الجلعادى حيث تمكن من قهر العمونيـين وضربهم . وكان هذا الزعيم على ما ذكره الاصحاح الحادى عشر ابن بغى طرده اخوته الشرعيون وكان جبار بأس فذهب اليـــه شيوخ جلعادى وعاهدوه على الرآسة والسمع والطاعة فقبـــل وتمكن من ضربهم ونذر بأن يقدم أول من يلقاه من بيته ذبيحة شكرا للرب فلقى ابنته وهى وحيدته ولكنه وفى بنذره فأحرقها . «وتضحية البشر» ليس من شريعة موسى وانما كان من شريعـة الكنعانيين حيث يبدو من هذا قوة تأثر بنى اسرائيل بهؤلاء .

ومما ذكره الاصحاح الثاني عشر ان سبط افرائيم تمـــرد على يفتاح بذريعة عدم أخذه اياهم لحرب بنى عمون فأوقع فيهم مذبحة هائلة هلك فيها اثنان وأربعون ألفا !

ولما مات يفتاح تولى القضاء زعيم اسمه ابصان ثم تـولاه ايلون الزبولوني ثم عبدون بن هليل الفرعتوني على ما ذكــره الاصحاح المذكور .

وعاد بنو اسرائيل الى شرهم وفسادهم بعد هــذا الزعيم فدفعهم الرب الى الفلسطينيين أربعين سنة على ما جاء في الاصحاح الثالث عشر وكانوا متسلطين عليهم . وكان خلاصهم على يــد شمشون في سياق طويل استغرق هذا الاصحاح والاصحاحــين التاليين له وفيه كثير من الخيال والمبالغة . وشمشون هذا هــو صاحب المثل المشهور « على وعلى أعدائي يا رب » .

وفي الاصحاح الثامن عشر قصة غزو سبط دان لمدينة كنعانية قرب صيدا اسمها لاييش واستيلائهم عليها وتسميتهم اياهـــا باسمهم .

– ٥ –

وفي الاصحاح السابع عشر قصة صغيرة تدلّ على اســتشراء الشرك في بني اسرائيل واندماج الجميع فيه ، حيث تحكى صــنع

رجل اسمه ميخا ـ من فضة أخذها من أمه ـ صنما منقوشا وآخر مسبوكا وجعلهما فى غرفة فى بيته سماها بيت الآلهة وزخرفها بزخارف طقسية من نوع زخارف المخبأ • وجاء فتى من اللاويين من عشيرة يهوذا طارقا الى البيت فأضافه ميخا ولما علم أنه لاوى عرض عليه البقاء عنده وغدوه كاهنا لبيت آلهته فقبل •

وفى الاصحاح الثامن عشر قصة غزو سبط دان لمدينة كنعانية قرب صيدا اسمها لايش واستيلائهم عليها وتسميتهم اياها باسمهم • وذكر الاصحاح ذلك فى سياق قوله اذ «لم يكن لبنى اسرائيل فى تلك الايام ملك وان سبط دان يطلب ميراثا للسكنى لانه الى ذلك اليوم لم يكن قد وقع له نصيب يرثه بين أسباط اسرائيل(١) •

ومما ذكره الاصحاح فى هذا السياق أن المحاربين الذين صعدوا لاخذ المدينة مروا ببيت ميخا وأخذوا الاصنام والزخارف والكاهن اللاوى ونصبوها فى المدينة التى استولوا عليها عنوة واتخذوها لهم وظل الكاهن وبنوه من بعده كهانا لها الى يوم جلاء اسرائيل عن الارض !

وفى الاصحاحات التاسع عشر والعشرين والحادى والعشرين

(١) فى الاصحاح التاسع عشر من سفر يوشع ذكر لنصيب دان واسماء عدة من المدن واقعة فى تخمهم ونصيبهم ، ولكنه قال ان تخمهم كان ضيقا عليهم فصعدوا وحاربوا لاشم وأخذوها بحد السيف وورثوها وسكنوا فيها وسموها باسم أبيهم •

وهى الاخيرة من سفر القضاة قصة حادث عجيب يكاد يكون وحيدا فى التاريخ مهما كان من المحتمل امتزاجه بالغلو والخيال •

فقد نزل أحد أبناء سبط لاوى مع سرية له ضيفا على أحد بنى بنيامين فى مدينة اسمها جبع فجاء جماعة من أهل المدينة يقال لهم بنو بليعال وطرقوا الباب وطلبوا من صاحب البيت اخراج الضيف ليفعلوا به الفاحشة فاستنكر صاحب البيت الطلب وحاول صرفهم فلم يتمكن الا باخراج سرية الضيف لهم فأخذوها وتعاقبوا عليها واحدا بعد آخر حتى زهقت روحها فقطعهازوجها اثنتى عشرة قطعةووزع قطعها على تخوم أسباط بنى اسرائيل • وارتاع بنو اسرائيل للحادث واجتمع ممثلوهم للتحقيق والمشاورة وجاء اللاوى تقص عليهم قصته فأثارتهم أشد اثارة وجعلتهم يقررون الانتقام للرجل وأرسلوا الى عشائر بنيامين يطلبون تسليم بنى بليعال فرفضت واستعدت للقتال فقررت الاسباط الباقية الاحدى عشرة أن يرغموها بالقوة وزحفت على جبع وكانت عدة محاربى الاسباط أربعمائة ألف وعدة محاربى بنيامين ستة وعشرين ألفا وسبعمائة • وأخذت الاشتباكات تقع بين الطرفين • وكانت فى البدء تقع بين بنيامين وأحد الاسباط نوبة بعد نوبة فاستطاع الاولون أن يصمدوا وكانوا يتغلبون على مقاتليهم فى الاشواط الاولى حتى قتلوا منهم عددا عظيما

بلغ نيفا وأربعين ألفا • ثم تضامنت الاسباط بأمر الرب وتأييده فتغلبت عليهم وفتكت بهم وحرقت مدنهم ولم يكد ينجو منهم الا ستمائة رجل فروا الى البرية واحتموا بصخرة يقال لها صخرة الرمون • وحلف الاسباط الا يزوجوهم حتى يفنى نسل بنيامين ثم ندموا على حلفهم واحتالوا لهم حتى جعلوهم يحصلون على زوجات لهم وسمحوا لهم بالعودة الى بلاد ميراثهم •

هذا ، وقبل أن ننقل الكلام الى سفر صموئيل الاول نقول ان اصحاحات سفر القضاة التى ذكرت خلاص اسرائيل على يد قضاتهم مرة بعد مرة من أيدى الذين تسلطوا عليهم فى غرب الاردن وشرقه لم تذكر أن بنى اسرائيل أبادوا أعداءهم باستثناء المدينيين ، وكل ما تفيده أنهم كانوا يتفلتون من قبضتهم أو يقهرونهم ، بحيث يصح أن يقال ان الفلسطينيين والاموريين والكنعانيين والمؤابيين والعمونيين والادوميين فى غرب الاردن وشرقه ظلوا مستقرين فى الارض محتفظين بشخصياتهم دينيا واجتماعيا وكان الفلسطينيون فى الجنوب بنوع خاص أصحاب قبضة واستعلاء • ويستفاد من الاصحاحات الاخيرة من سفر القضاة انه لم يقم بعد شمعون زعيم قوى فى بنى اسرائيل وكانت حالتهم فوضى • وفى حالة الفوضى هذه وقعت حادثة ميخا وأصنامه وزحف جماعة بنى دان على مدينة لايش

واستيلائهم عليها وأخذهم اياها آلهة وأصناما لهم • وكانت هذه الحالة مما جعل الفلسطينيين وغيرهم يقوون ويستعلون وجعل بني اسرائيل يفكرون في اقامة ملك لهم ينضوون تحت رايته ويناضلون الذين استعلوا عليهم وأزعجوهم مما تصف الاسفار التالية لسفر القضاة قصته •

- ٦ -

وسفر صموئيل الاول أو الملوك الاول ـ الذي تحكي اصحاحاته التسعة الاولى بقية سيرة بني اسرائيل قبل قيام ملك لهم ـ واحد وثلاثون اصحاحا في تسع وخمسين صفحة • واسمه مقتبس من اسم صبي كان يخدم الكاهن الاكبر عالي ثم تولى بعهده الكهانة ومسح شاوول ملكا ثم داود من بعده •

وهو الآخر ، كتب على ما تدل عباراته بعد أمد ما ، من الحقبة التي يقص سيرتها ، قد يكون طويلا • وفيه بسبب ذلك على ماهو المتبادر كثير من الخيال والمبالغة والتهويلات مع كثير من الحقائق أيضا •

ويستفاد من اصحاحه الاول أن الكهانة الكبرى كانت في عهدة كاهن اسمه عالي ووصف برجل الله وشغل منصبه أربعين سنة •

ومما ذكره الاصحاح الثاني أن فتيان بني اسرائيل كانوا يزدرون الطقوس الدينية وان أبناء عالي كانوا لا يعرفون الرب • ولا يفرقون بين حق الشعب والكهنة كما كانوا لا يتورعون عن مضاجعة النساء المجتمعات في باب الخباء على علم من الملأ حيث يدل هذا على مقدار استشراء الانحراف الديني والخلقي في بني اسرائيل • وقد ذكر الاصحاح أن عالي الكاهن علم بفسق أبنائه وفسادهم فوبخهم ووعظهم وأنذرهم فلم يؤثر ذلك فيهم مما جعل الرب يغضب ويوحي الى عالي بأنه قرر قطع الكهانة من ذريته وتحويلها الى غيرها وانزال الموت بنيه الفاسقين •

ويقص الاصحاح الثالث قصة صموئيل الصبي الذي كان يخدم عالي الكاهن واستقامته واتصال الرب به وجعله نبيا وترشيحه للكهانة الكبرى مكان عالي •

ويذكر الاصحاح الرابع خبر نشوب الحرب بين بني اسرائيل والفلسطينيين ، وقد دارت المعركة بين الطرفين في أفيق فانهزم بنو اسرائيل أمامهم وقتل منهم أربعة آلاف • ورجع المنهزمون الى شيلو فحملوا تابوت الرب معهم للاستنصار به وكروا على

الفلسطينيين وكان ابنا الكاهن الفاسقان هما اللذان حملاه فانهزموا ثانية وقتل منهم ثلاثون ألفا من جملتهم الابنان المذكوران وأخذ الفلسطينيون التابوت ، مما أثار فى نفوس بنى اسرائيل عظيم التشاؤم والذعر وجعلهم يمزقون ثيابهم وينوحون فى كل بيت ولما وصل الخبر الى عالى الكاهن وكانت الشيخوخة قد هدته سقط عن كرسيه فاندق عنقه ومات •

وأفيق هذه فى أعالى الجليل — وهى الآن من أعمال سورية — ومعنى العبارة أن الفلسطينيين اقتحموا أرض بنى اسرائيل واخترقوها من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال ••

ويحكى الاصحاحان الخامس والسادس أن التابوت بقى عند الفلسطينيين تسعة أشهر وأن ضربات من البواسير والفئران قد نزلت بهم بسبب وجوده بين ظهرانيهم مما جعلهم يتشاءمون ويقررون اعادته الى بنى اسرائيل مع خمسة تماثيل ذهبية للفئران ومثلها للبواسير هدية معه على عدد ممالكهم وهى غزة وأشدود وأشقلون وجت وعقرون بناء على نصيحة كهانهم وعرافيهم ، وقد وضعوه على عجلة مقطورة ببقرتين وأطلقوهما فى اتجاه أرض بنى اسرائيل فسارتا حتى وصلتا الى بيت شمس احدى مدنهم ومنها الى بعاريم حيث بقى فيها الى أن نقل الى أورشليم فى زمن داود •

وقد ذكر الاصحاح السابع أن الامر ظل على هذا الموقف

عشرين سنة وأقبل كل بيت اسرائيل الى الرب فقال لهم صموئيل الذى صار كاهنهم الاكبر « ان كنتم تائبين الى الرب من كل قلوبكم فأزيلوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من بينكم وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه فينقذكم من أيدى الفلسطيين » فاستجاب بنو اسرائيل لكلامه وأزالوا عنهم البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده • حيث يدل هذا على ما كان من انحراف نحو الوثنية والشرك وتأثر بعقائد سكان الأرض الاقدمين •

ويقول الاصحاح نفسه : ان بنى اسرائيل احتشدوا فى المصفاة وصاموا واعترفوا بخطئهم وقضى صموئيل لهم ، وان أقطاب الفلسطيين لما سمعوا باحتشادهم صعدوا اليهم فخاف بنو اسرائيل والتجأوا الى صموئيل ليصرخ الى الرب من أجلهم حتى يخلصهم من أيدى الفلسطينيين ففعل فاستجاب الرب اليه فارعد بصوت عظيم أزعج الفلسطينيين وجعلهم ينهزمون من وجه اسرائيل ، وتبعهم بنو اسرائيل وضربوهم الى ما تحت بيت كار فذل الفلسطيبون ولم يعودوا يدخلون تخوم اسرائيل وعادت الى اسرائيل المدن التى كانت دخلت فى حوزتهم من عقرون الى جت •

والعبارة تفيد كما هو واضح انكفاف يد الفلسطينين وسيطرتهم عن بنى اسرائيل وحسب ، وبالتالى ظل الفلسطيون مستقرين فى أرضهم محتفظين بممالكهم وسلطانهم •

ومع ذلك فان الاصحاح العاشر ذكر فى سياق ترشيح شاؤول للقيادة والملك أن الرب أوحى لصموئيل أنه هو الذى اختاره ليكون قائدا لشعبه ومخلصا لهم من أيدى الفلسطبيين لان صراخ شعبه قد انتهى اليه فقرر الالتفات اليهم • وفى هذا نقض لما ذكره الاصحاح السابع من انكفاف يد الفلسطبيين عن بنى اسرائيل وارتفاعها عـــن تخومهم كل أيام صموئيل ! ويفيد أن الفلسطينيين ظلوا مسيطرين على بنى اسرائيل وعلى الاقل أنهم عادوا فسيطروا عليهم ••

ولقد جاء فى الاصحاح السابع بعد العبارة التى ذكرت انكفاف الفلسطنيين عن تخوم اسرائيل هذه العبارة « وكان بين اسرائيـــل والاموريين سلم » حيث يفيد هذا أن الاموريين كانوا بدورهـــم محتفظين بكيانهم وسيادتهم فى البلاد التى كانت فى حوزتهـــم من أرض كنعان ••

وقد ذكر الاصحاح الثامن أن صموئيل الذى كان يتولى الكهانة والقضاء لبنى اسرائيل شاخ فجعل بنيه قضاة• ولكنهم لم يسلكوا سبيله وأخذوا الرشوة وحابوا فى القضاء ، فاجتمع شيوخ اسرائيل وجاءوا الى صموئيل فى الرامة التى كانت مركزه وأخبروه بسيرة أبنائه العوجاء وطلبوا منه اقامة ملك عليهم يقضى بينهم كجميع الامم فساءه الطلب فصلى الى الرب فأمره الرب أن يسمع لكلام

الشعب وقال له انهم لم يسأموك أنت وانما سئمونى أنا كديدنهم منذ خروجهم من مصر ، ثم قال له اسمع الآن لقولهم ولكن اشهد عليهم وأخبرهم بسنن الملك الذى يملك عليهم فأخبرهم صموئيل بما قاله الرب ثم قال لهم ان سنة الملك الذى يملك عليكم هى أن يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه فيركضون أمام عجلته . ويتخذ لنفسه رؤساء ألف ورؤساء خمسين وأكره لحرثه وحصاده وصناعا لآلات حربه وأدوات عجلاته. ويتخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات. وحقولكم وكرومكم وأفضل زيتونكم يأخذها ويعطيها لعبيده . ويأخذ عشورا من زروعكم وكرومكم ويعطيها لخصيانه . ويأخذ عبيدكم واماءكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم فى شغله . ويعشر ماشيتكم وأنتم تكونون له عبيدا فتصرخون فى ذلك اليوم من ملككم الذى اخترتموه لانفسكم فلا يجيبكم الرب . فأبى الشعب أن يسمع لصوت صموئيل وأصر على تمليك ملك عليه وقالوا له نريد أن يكون لنا ملك كسائر الشعوب يقضى بيننا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا فقال الرب لصموئيل اسمع لصوتهم وول عليهم ملكا .

ويحكى الاصحاحان التاسع والعاشر قصة اختيار شاؤول بن قيس من سبط بنيامين ملكا ومسحه من قبل صموئيل . وقد وصفه الاصحاحان بأنه أطول من كل رجل ولم يكن فى بنى اسرائيل من هو أحسن منه . وقد التقى صموئيل وهو غلام بمناسبة ضلال أتن

لابيه وخروجه للبحث عنها ومجيئه اليه ليقدم له تقدمة ويطلب منه الدعاء للرب لارشاده الى الاتن الضالة ، وكان الرب قد أوحى لصموئيل بأنه سيجىء اليه الذى اختاره ليكون قائدا لشعبه يخلصهم من أيدى الفلسطينيين ، فلما جاءه طمأنه على أتن أبيه ووصاه ببعض الوصايا التى يقولها لبعض من يلقاه فى طريق عودته ثم صب على رأسه الدهن وقبله وقال له : ان الرب قد مسحك قائدا على ميراثه ، ثم استدعى الشعب فى المصفاة وقال لهم ان الله قد اختار لكم قائدا لا نظير له فى جميع الشعب ثم استعرض الاسباط فاختار بنيامين واستعرض بنيامين فاختار عشيرة مطرى واستعرض عشيرة مطرى فلم يظهر شاؤول بينهم ثم عرف أنه مختبىء بين الامتعة فقدمه الى بنى اسرائيل فكان أطولهم فهتف الشعب كله ليحى الملك .

ثم كلم صموئيل الشعب بسنن الملك وكتبها فى سفر ووضعه أمام الرب وصرف جميع الشعب الى منازلهم ، وانصرف شاؤول الى بيته فى جبع وانصرف معه الجيش الذى مس الله قلبه باستثناء بنى بليعال الذين ازدروه وقالوا كيف يخلصنا هذا ولم يهدوا اليه هدايا فتصام عنهم .

وهكذا قام على رأس بنى اسرائيل ملك بعد نحو مائتى سنة من طروئهم على شرق الاردن وغربه وقضائهم حياة مضطربة ، فانتقلت حالتهم بذلك من دور الى دور .

وسوف نسمي دورهم الجديد بدور الملوك اقتباسا من الاسفار المسماة بأسفار الملوك والتي قصت تاريخ ملوك بني اسرائيل قبل السبي • ويصح تقسيم هذا الدور الى قسمين الاول دور المملكة الواحدة والثاني دور المملكتين اللتين انقسمت اليهما المملكة الواحدة •

والاسفار التي تقص تاريخ ملوك بني اسرائيل ستة وهي سفر صموئيل الاول والثاني وسفرا الملوك الاول والثاني وسفرا أخبار الايام الاول والثاني • وتسمي النسخة الكاثوليكية سفري صموئيل بسفري الملوك الاول والثاني وسفري الملوك الا خرين بسفري الثالث والرابع •

وفي سفري أخبار الايام الاول والثاني تكرار لكثير مما جاء في أسفار صموئيل والملوك من وقائع تاريخ الملوك بشيء من الزيادة حينا والنقص حينا والاختلاف حينا والتناقض حينا •

وفي الاسفار الستة كثير من الخيال والمبالغة والتهويل والتناقض كسائر الاسفار ولكن فيها كثيرا من الحقائق فيما هو الارجح • وفيها ما يدل على أنها كتبت أو أعيد تدوينها بعد السبي وأنها كتبت بأقلام عديدة كما فيها ما يدل على أنها استقيت من مصادر مختلفة قديمة ضاعت •

وهناك أسفار أخرى ذات صلة بتاريخ الملوك وحقبتهم غير أنها متسمة بسمة التنبؤات والرؤى وليست تاريخا بالشكل التى جاءت به الاسفار الستة المذكورة وهى أسفار أشعيا وأرميا وهوشع ودانيال وعاموس وصفنيا .

هيئة قناة السويس

نبذة عن الجانب الاقتصادى لقناة السويس

ان من ينظر لمرفق قناة السويس من الناحية الاقتصادية سيدرك لاول وهلة بعض السر فى ثورة الغرب علينا عقب التأميم .

فان أغلب السفن المارة فى القناة تأتى من الشرق محملة بالمواد الخام اللازمة للصناعة فى الغرب ، وأهمها البترول والمطاط ، أما السفن المتجهة من الغرب الى الشرق ، وهى لا تزيد نسبتها عن خمس السفن المارة جميعها ، فتحمل الى الشرق المواد المصنوعة .

ويتضح من هذا أن اضطراب حرية الملاحة فى القناة يلحق الكثير من الاضرار للدول موردة المواد الخام فى الشرق والتى تستغلها دول الغرب .

ويبلغ المتوسط اليومى للسفن المارة بالقناة فى عام ١٩٥٨ ، ٥٠ سفينة وهذا العدد يمثل سدس مجموع السفن التى تمخر عباب البحار ، وقد قدرت حمولتها جميعا عام ١٩٥٥ ـ قبل التأميم ـ بحوالى ١١٦ مليون طنا ؛ بينما ارتفعت هذه النسبة عام ١٩٥٨ الى حوالى ١٥٥ر٥ مليون . ولم تتغير نسبة عدد ناقلات الزيت عبر القناة فى عام ١٩٥٨ عنها فى عام ١٩٥٥ اذ بلغت حوالى ٨ـ٥٣ فى المائة من مجموع السفن المارة بها ؛ كما بلغ متوسط شحنة القافلة الواحدة عام ١٩٥٨ حوالى ٢٠ر٠٠٠ طن .

ويؤدى طريق القناة الى اختصار المسافة من سنغافورة الى لندن مثلا بمقدار ٨ر٣٠٠ ميل ومن الخليج الفارسى بحوالى ٤ر٩٠٠ ميل .

والقول بتحول التجارة عن طريق القناة محض خيال يكلف من يفكر فيه أكثر مما تتحمل امكانياته .

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

مجموعة

إخترنا لك

تصدر

نصف شهرية باللغات العالمية

يشترك في تحريرها وإعدادها

لجنة "إخترنا لك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر

٣٠ شارع منصور – ص٠ب ٢٣٩٨

ح
١٠